فلامينغو

الكتاب : فلامينغو

الكاتب : مجموعة كتاب

تصميم الغلاف : ريهام محمد

تنسيق داخلي : يوسف الفرماوي

مراجعة لغوية : دار خواطر

الطبعة : الأولى٢٠٢٠

رقم الإيداع:2020/3265

الترقيم الدولي :978-977-6783-38-6

الناشر : السعيد للنشر والتوزيع

المدير العام : لمياء السعيد

برج الهادي – الدور الأول - 36 ش عبد الحميد الديب – شبرا مصر

0222017260 – 01550096215

elsaidpublisher@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر

فلامينغو

مجموعة قصصية

تأليف

مجموعة كتاب

السّعيد
للنشر والتوزيع

1- شكرا أمي.

توقفت سهيلة أمام تلك الصورة الخاصة بوالديها والقابعة على الحائط في منتصف ردهة شقتها تماما.. حقا كم إفتقدتهما.. ربما لا تتذكر أباها جيدا و لكنها بالتأكيد تتذكر كل ما قالته والدتها لها عنه.. رفعت يدها إلى تلك الصورة تتلمس يد والدها بحنان.. و هي تقول :

يا ليتك كنت معنا يا أبي حين كانت والدتي تتحدث عنك.. لرأيت العشق متجسدا في عينيها.. يظهر جليا في نبرات صوتها.. حقا لم تغب عن بالها قط.. بل شغلت قلبها و عقلها فجعلتك هي مجسدا أمامي.. و كأنك لم تغب عني يوما.

لتنقل بصرها إلى والدتها.. تستقر يدها على وجنتها.. تبتسم بتلقائية لتلك التي تظهر في الصورة وهي تبتسم بسعادة.. تدركها سهيلة جيدا.. فلطالما أخبرتها والدتها عن السعادة التي عاشتها مع والدها.. و قصة حبهما المشتعلة و التي تحدت كل الصعاب.. و قهرت كل ما كان من الممكن أن يحول بينهما.. فقد كان والدها عصام زميل والدتها سماح في الدراسة لسنوات.. بدأ تعارفهما بصدام حاد بينهما و بعدها شعور بالذنب من قبل والدتها و التي أدركت أنها ظلمت عصام معتقدة أنه يتكبر عليها و لا يجيبها متعمدا حين طلبت منه دفتر محاضراته.. بينما كان خجولا و إنطوائيا بطبعه لا يتعامل مع أحد من زملائه إلا في أضيق الحدود.. فكان هو ذلك النابغة الذي لا يتباهى بنبوغه.. و لا يفرح بتجمع الناس من حوله.. كما يفعل النابغون.. بل كان ينأى بنفسه بعيدا عن الجميع.. يكره التجمعات.. يتخذ ركنه الهادئ مقرا له.. يستذكر فيه الدروس ما بين المحاضرة والأخرى.. و عندما أدركت هي سمات شخصيته.. أعجبت به رغما عنها.. و تمنت لو تعرفت عليه

أكـثر.. فعرضـت عليـه صداقتهـا.. في البدايـة رفـض رفضـا قاطعـا.. و لكـن مـع جمالهـا و رقتهـا إلى جانـب إلحاحهـا رضـخ لعـرض الصداقـة.. فأصبحـا صديقـين ومـع الوقـت تآلفـت القلـوب لتنسـج قصـة عشـق أصبحـت حديـث الجامعـة.. يتعجبـون مـن تلـك الفتـاة التـي إسـتطاعت إخـراج نابغتهـم مـن عزلتـه.. نعـم لم تجعلـه إجتماعيـا بالدرجـة الأولى و لكنـه أصبـح عـلى الأقـل أكـثر تفاعـلا مـع أقرانـه.. ثـم تزوجـا رغـم رفـض عائلـة عصـام هـذا الـزواج.. فقـد كان مخططـا لعصـام أن يتـزوج مـن إبنـة عمـه.. و لكنـه رفـض.. فقـد عشـق وإنتهـى الأمـر.. لـذا تحـدى الجميـع و تـزوج سـماح.. تلـك التـي إسـتطاعت دون غيرهـا أن تملـك قلبـه بصبرهـا و تفهمهـا لطبيعتـه الغريبـة نوعـا مـا.. غضـب والـده.. و أنكـر هـذا الـزواج.. ليقـرر لفظـه نهائيـا مـن حيـاة عائلتـه و طاوعتـه زوجتـه التـي قضـت عمرهـا تحـاول فهـم إبنهـا و قراراتـه الغريبـة تلـك فلـم تسـتطع.. لتيـأس مـن أنهـا قـد تسـتطيع يومـا فهمـه أو التعامـل معـه..

إبتعـد عصـام مـع سـماح عـن البلـدة و قطنـا بالمدينـة و مـع مـرور الوقـت حملـت سـماح بسـهيلة.. فدقـت القلـوب فرحـا بقـدوم تلـك المولـودة الجميلـة.. ظـن عصـام أن أهلـه سينسـون المـاضي بميـلاد تلـك الطفلـة الرائعـة.. فذهـب إلى أهلـه فرحـا يخبرهـم عـن مولودتـه الجميلـة آخـذا إياهـا معـه.. فرفضـوا أن يتقبلوهـا أو يعـود إبنهـم الوحيـد لوطنـه و داره مـن جديـد.. مشـترطين عليـه أنـه قـد يسـتطيع العـودة إن طلـق زوجتـه و جـاء إلى المنـزل بطفلتـه فقـط.. رفـض والدهـا و رجـع إلى زوجتـه بخفـي حنـين.. حزينـا.. يـكاد يمـوت كمـدا مـن تعنـت والديـه.. أدركـت والدتهـا أن زوجهـا يفتقـد ذويـه.. يريدهـما إلى جـواره.. يحتـاج دعمهـما الـذي مـا وجـده يومـا.. لتقـرر التضحيـة بعشـقها و تعـرض عليـه الإنفصـال كي يعـود إليهـم.. و لكنـه ثـار و إتهمهـا بالتخـلي عنـه.. فبكـت و مـع بكاءهـا إنهـارت مشـاعرها التـي لم تصمـد كثـيرا بعـد محاولتهـا أن تبـدي قـدرا مـن

التماسك.. لتحتضنه بقوة مخبرة إياه أنها ما تفعل ذلك إلا رغبة في إسعاده.. و جمعه مع ذويه.. فسعادته أهم عندها من نفسها التي تثق بأنها ستذوي في بعدها عنه.. ليضمها بحنان.. يضم يديه حولها يمنحها و يمنح نفسه إيمانا قويا بأنهما أقوى معا.. ثم أبعدها عن صدره يمسح دموعها بكفيه.. مخبرا إياها أنها و سهيلة أصبحا عائلته التي تربض في قلبه.. و أنه دونهما لا نبض فيه ولا حياة.. دونهما سيضيع للأبد.. لتبتسم والدة سهيلة في سعادة وتقرر أن تعوض زوجها عن غياب الأهل.. فتكون له الأم والأخت والحبيبة والصديقة بل ستكون له الأب والأخ أيضا إن أمكنها ذلك.

وبالفعل كانت له كل هؤلاء.. ساندته و دعمته و منحته كل ما هي قادرة عليه من مشاعر.. و كل ما تحمله له من عشق.. لتمر السنوات.. و يتوفى عصام فجأة.. لم يكن مريضا و لم يصب في حادث.. فقط ذات ليلة ذهب للنوم و في الصباح وحين كانت سماح توقظه كعادتها كي يذهب إلى عمله.. لم يجبها.. لتتفاجأ بوفاته.. أصابتها الصدمة من تلك الفاجعة التي وافتها.. لقد فقدت حبيبها وزوجها وتوأم روحها دون سابق إنذار.. لم تحتمل الصدمة فأصابها إنهيار عصبي دخلت على إثره المستشفى.. بينما بحث الجيران في أوراق عصام عن أي معلومة قد تقودهم إلى أهل المتوفى.. ليجدوا عنوانهم وأرقامهم في مفكرته.. أخبروهم بالفعل بوفاة ولدهم ليحضروا على الفور و يأخذوا جثمان إبنهم ليدفنوه في بلدتهم.. و لم يكتفوا بأخذ ولدهم فقط.. بل أخذوا إبنته معهم تاركين تلك المسكينة في المستشفى.. لا تدرك شيئا حولها.. تشعر فقط بالإنهيار الكلي لمصابها.

بعد عدة أيام إستطاعت فيه والدتها أن تفيق من تلك الصدمة التي أصابتها.. لتستوعب ما يحدث حولها.. و تدرك أنها فقدت عزيزها و لكن مازال لديها قطعة منه.. تحمل روحه وملامحه وسماته أيضا..

لتلتفت حولها تبحث عنها فلم تجدها.. غادرت المستشفى في عجلة من أمرها رغم رفض الطبيب السماح لها بالخروج.. و عادت إلى المنزل بسرعة تبحث عن جثمان زوجها و طفلتها لتخبرها جارتها بالفاجعة الأكبر.. لقد وارى أهل زوجها عصام الثرى دون أن تشيعه هي إلى مثواه الأخير وأخذوا إبنتها معهم.. أسرعت إلى البلدة على الفور وهي فى حالة هياج شديد.. لتدلف إلى منزل أهل زوجها الراحل بصعوبة.. تصرخ فى هيستيرية:

- إبنتي..أريد إبنتي..أين هي؟بالله عليكم أخبروني عن مكانها.. ودعونى أراها.. بالله عليكم لا تحرموني منها..كما حرمتموني من تشييع جثمان زوجي الراحل إلى مثواه الأخير.

ليخرج إليها والد زوجها ذو الملامح الباردة وهو يقول بصرامة:

- إخرسى يا إمرأة.. لم يقتل ولدي سواك.. زواج الشؤم كان هذا الزواج.. و إرتباطه بك حرمنا نحن منه.. لا فتيات لك عندنا وإن لم تذهبي فسوف أرديك قتيلة في مكانك.. و لن يعرف مخلوق مكان جثتك.. أقسم بقبر ولدي الذي مازال رطبا أن أقتلك إن عدتي إلى هنا مجددا.

إنهارت سماح كلية وأسرعت إليه تقبل يداه ..ترجوه أن يدع لها إبنتها ويكفيها أن فقدت زوجها فليرحمها ولا يحرمها من إبنتها الغالية هي الأخرى..تتوسل إليه وإلى والدة عصام أيضا..ترجوها أن تعيد إليها قطعة من روحه إمتزجت بروحها ولكنه نفضها بعيدا عن زوجته بقسوة.. لتقع أرضا بقوة ..لم يهمها ذلك الألم الذي تشعر به في كل جسدها.. بل نظرت إليهما في ضعف تستعطفهما.. ترجوهما أن يرحما ضعفها كأم.. لينادي والد عصام على حراسه بصرامة مطالبا إياهم بطردها خارج المنزل..فأخرجوها خارج الدار التي كانت يوما تحمل عبق زوجها وذكريات طفولته..لتخر على الأرض فى الخارج تمتزج

دموعها بالأتربة..تنعى ضعفها كإمرأة بلا عائلة ولا سند.. ليأخذ حقها ممن ظلموها وأبعدوها عن غاليتها.. فلا حيلة لها ولا قوة تنقذانها مما هي فيه.

مرت الأيام عليها بطيئة حزينة..دون زوجها ودون طفلتها..ولكنها لم تيأس فلن تترك سهيلة أبدا حتى تزهق روحها وهي تحاول إسترجاعها.. ظلت تطرق بابهم يوميا..ترجوهم أن يعيدوا لها إبنتها.. أن يردوا لها روحها..ببكاء يمزق نياط القلب..فلم يشفق عليها أحد ولم يرحمها منهم مخلوق..حتى كان هذا اليوم الذي فاجأوها فيه بإلقاء فتاتها أمامها.. إبنتها التي هزلت تماما وشحبت بشدة ..وهم يقولون لها بغضب أن تأخذها وتخلصهم منها..فلا حاجة لهم بطفلة حمقاء لا تفهم.. غريبة الأطوار كلية.. عدوانية ويصعب التعامل معها.. طفلة غبية تماما كأمها.. لا فائدة ترجى منها ولا يشرفهم أن تنتمي لعائلتهم العريقة.. بل ستضر بسمعتهم وتسيء لإسمهم العريق إن علم أحد بوجودها.

لتحتضن الأم طفلتها بشوق.. لا تصدق أنهم أعادوها إليها.. تنفض تلك الكلمات عن أذنيها وقلبها رافضة أن تطلق تلك الصفات القاسية على هبة الله من السماء إليها.. حبيبتها سهيلة.. لتأخذها بسرعة بعيدا إلى المدينة.. قبل أن يغيروا رأيهم.. تعود بها إلى منزلهم الذي شهد ذكرياتها الجميلة مع عصام زوجها.. تدرك أن حالة فتاتها النفسية الموروثة عن أبيها قد ساعدتها في أن تعود إلى حضنها مجددا.. فطفلتها مصابة بمتلازمة آسبرجر.. تماما كأبيها الذى لم يفهمه أبواه بالماضي ولم يستطيعا التعامل معه.. وظنا منهما أنه هكذا لإنه تربى وحيدا.. فلا إخوة لديه.. حيث أزال الطبيب رحم والدة عصام بعد ولادته لمواجهتها مشاكل عديدة أثناء الولادة ولولا أن الثروة مكتوبة بإسم والدة عصام لتزوج عليها والده منذ زمن بعيد..هذا ما أخبرها

بـه عصـام بالمـاضي.. وأخبرهـا أيضـا أن غرابـة أطـواره كانـت السـبب في أنهم بعثـاه للمـدراس الداخليـة.. حتـى الجامعة..فالشـخص الأسـبرجري عبقـري ولكنـه يبـدو كالأحمق..غريـب الأطـوار ويصعـب التعايـش معـه.. إنطـوائي إلى حـد كبـير.. لا يعـرف كيـف يتعامـل مـع الأشـخاص مـن حولـه فيعتقـد البعـض بالخطـأ أن هـذا الشـخص وقـح وليـس مريضـا.. يحتـاج المصـاب بالمتلازمـة إلى شـخص يسـتطيع التعامـل معـه حتـى يـبرز أجمـل مـا فيـه وينفـذ إلى قلبـه.. و يملـك ثقتـه.. و قـد أدركـت والـدة سـهيلة منـذ البدايـة أن زوجهـا أسـبرجري فإسـتطاعت التعامـل معـه والنفـاذ إلى قلبـه وأدركـت بدورهـا أن طفلتهـا سـهيلة قـد ورثـت عنـه هـذا المـرض.. فلـم تعنفهـا ولم تيـأس منهـا ولم تتخـلى عنهـا.. بـل تعاملـت معهـا بحنـان وروية وتفهـم في مختلـف مراحـل حياتهـا فسـاعدتها عـلى التعامـل مـع محيطهـا وتقبـل وضعهـا.. فـكان مـن ذكاء سـهيلة مـا سـاعدها.. فقـد إبتدعـت بدورهـا طرق للتأقلـم مـع مرضهـا.. وهـا هـي ذا.. و بفضـل والدتهـا بعـد ربهـا.. ومـا تحملتـه معهـا وقدمتـه لهـا مـن مسـاندة ودعم..إسـتطاعت أن تحقـق مـا عجـزت عنـه زميلاتها..فتفوقـت في دراسـتها دائمـا حتـى أصبحـت معيـدة فى جامعتها..ثـم دكتورة..لتتـوفى والدتهـا في ذلـك الوقـت وتحـدث وفاتهـا أثـرا كبـيرا في نفـس سـهيلة ولكـن كلـمات والدتهـا سـماح ظلـت تسـاندها وتدعمهـا فى كل حياتهـا.. فكلـما واجههـا موقـف تذكـرت كلـمات والدتهـا لتتقـدم.

نعـم.. لقـد ظلـت والدتهـا تدعمهـا حتـى بعـد مماتهـا.. و كانـت لهـا مصـدر إلهـام كبـير فقدمـت بحـث كبـير عـن مرضهـا ودور الدعـم في تقليـل أعراضـه و مسـاعدة المصـاب فى التعامـل مـع محيطـه والتأقلـم مـع مجتمعـه.. نالـت عنـه جائـزة كبـيرة.. وهـا هـي بصـدد حضـور حفـل التكريـم الخـاص بهـا.. و سـتهدي تلـك الجائـزة اليـوم إلى تلـك العظيمـة التـي منحتهـا كل الحنـان و الدعـم.. كـما فعلـت لوالدهـا مـن قبل.. سـتهدي

الجائـزة إلى تلـك التـي جعلتهـا هـذه المـرأة التـي هـي عليهـا اليـوم.. تتمنـى مــن قلبهــا أن تكــون روح والدتهــا الآن فخــورة بهــا كــما كانــت دائمــا.. لتبتسـم فى حنـان وهـي تقبـل أصابـع يدهـا ثـم تضعهـا عـلى وجنـة والدتهـا في الصـورة قائلـة بحـب:

- شكرا أمي.. شكرا على كل شيء.

شاهندة

2- أوراق ملونة

22 يوليو ..

تطايـرت كلـماتي الآن مـن ويـل مـا حـدث، لا أعلـم هـل القـدر ضـدي أم أننـى سـيئة الحـظ، ربمـا خـيرا لكـن بعـد الكثـير مـن الحـزن والألم، لا أسـتطيع أن أعـبر عـن ألمـي مثقـال ذرة، في ذلـك اليـوم كـم شـعرت بنغـزات في قلبـي بـل أصبـح كل شيء يتـلاشى مـن حـولي!

كنـت في مـكاني المعتـاد عـلى نفـس المقعـد لكـن تختلـف الأحـداث فقـط ..

أنـارت شاشـة هاتفـي معلنـة عـن وصـول رسـالة، أو ربمـا رسـالة نهايتـي، أسرعـت لاطـلاع إلى تلـك الرسـالة و لم أشـعر إلا و العـبرات تتسـاقط مـن عينـى، جاءتنـى صغـيرة لا أعلـم بدونهـا مـاذا كنـت سـأفعل أعطتنـي ورقـة صغـيرة ثـم فـرت مـن أمامـي في لمـح البـصر، تعجبـت مـن تلـك الرسـالة فدفعنـي فضـولي لأعـرف مـا بهـا (لعلـه خـيرا) لم أشـعر بنفـسي إلا و إبتسـامة تعلـو شـفتي، رغـم كل حـزن امتـلأ بـه صـدري، حزمـت أشـيائي للذهـاب للمنـزل متمنيـة أن يـزول مـا بي مـن ثقـل اثنـاء سـيري في الطريـق، كنـت أحـدث نفـسي قائلـة: كنـت أتمنـى أن يكـون لي في كل سـجدة مـاذا حـدث الآن !

قد كُسر قلبي يا الله عوضه خيرا و داوي ما بي سريعا..

1أغسطس

طاقتـي اسـتُنفذت كثـيرا الآن، ليـس بي طاقـة لأتحـدث إلى أحدهـم عـن كل مـا يجـول بقلبـي وعقـلي حتـى !

كان هـو سرا بينـى وبـين ربي وسـيظل كذلـك للأبـد، لكننـى يـا اللـه متعبـة، متعبـة الى الحـد الـذي لا حـد لـه، أشـعر بتجزئـة قلبـى إلى أجـزاء

أصغـر مـن أن تكـون صغـيرة أصبـح أنقاضـا !

أتمنـى أن يتنـاسى سريعـا، فقـد عانيـت الكثـير و مـا زلـت أعـاني حتـى وقتـي هـذا، أحدثـك يـا اللـه بـكل مـا تبقـى لـدي مـن قـوة، يـسر لي حـالي و قـدر لي مـا يُعيـد بهجـة روحـي مجـددا

29 أغسطس

أمسـكت بقلمـي مـن جديـد، هـا أنـا أصبحـت جديـرة مـن جديـد للكتابـة، مذكـراتي العزيـزة سـأحدثك اليـوم عـن شيء مختلـف، عـن عمـل بإمكانـه تغيـير مصـير كامـل لي للأفضـل.

مـا حـدث الآن هـو أننـي كنـت أتصفـح الإنترنـت و قطـع أفـكاري إعلان يُعلـن عـن وظيفـة في شركـة، والمثـير هنـا أن المطلـوب في مجـالي، و كأن الحـاضر ينتشـلني مـن وجـودي و تعلقـي بالمـاضي ليخـبرني بـأن المسـتقبل بـه الكثـير والأجمـل .

الآن انـا في قمـة سـعادتي عـلى الرغـم مـن خـوفي مـن أن يسـقط مـا أبنيـه مـن أحـلام وتصبـح مجـرد أحـلام زائفـة، أتمنـى الصمـود وأن لا أسـقط مجـددا.

1سبتمبر

الآن أكتـب مـن داخـل مكتبـي الخـاص قـد عُينـت مـن بـين 150 شـخصا متقدمـا لتلـك الوظيفـة !

بالفعل كم هذا مذهل لم أتوقع حدوث شيء كهذا !

اللهم أدم عليا نعمتك ...

نظـرا للراتـب والعمـل فأظـن أن الأجركبير..قـد خـسرت الكثـير حقـا لكـن هـذه هـي الحيـاة معركـة، قـد تكـون فائـزا أو مهزومـا

7 سبتمبر

كنـت جالسـة في مكتبـي و سـمعت طرقـات طفيفـة عـلى البـاب فأذنـت بالدخـول لمـن يطـرق البـاب ..

كنــت في حالــة ذهــول أليســت تلــك الصغــيرة التــي اهدتنــي تلــك الورقــة؟

هتفت الصغيرة قائلة: أخي أبلغني إيصال تلك الرسالة إليك.

وضعتهــا عــلى مكتبــي وكنــت عــلى وشــك الــشروع في الســؤال عــن هويتهــا أو هويــة مــن يرســل تلــك الرســائل !

لكن ويحا فرت من أمامي للمرة الثانية ..

نهضــت سريعــا لا أعلــم لمــاذا ؟! و التقطــت تلــك الورقــة وهممــت بفتحهــا (أتمنــى أن تكــوني بخــير الآن ,أجاهــد نفــسي الآن لتكــوني لي)

ابتسامة بلهاء ارتسمت !

من ذلك المجهول يا ترى!

لحظة ! قصته مشابهة لقصتي لم يبح بحبه خوفا من أن يفقدني

يبدو انني أحببته دون أن ألتقيه .

30 سبتمبر

يجــب أن يُســجَل ذلــك الحــدث، قــد حصلــت عــلى ترقيــة خــلال شــهر، إنــه رقــم قيــاسي ..

أحيانــا أتخيــل إن كان بــئر الأمــاني حقيقيــا و حصلنــا عــلى كل مــا نتمنــاه مقابــل قطعــة نقــود معدنيــة فمتــى سنستشــعر لــذة النــصر بالوصــول لمــا نريــده !

أشعر بأنه ما يبقينا أحياء وجود أحلام نريد بلوغها و بشدة !!

10 من أكتوبر

كان يومــا مرهقــا كاد أن يبلــغ عنــان الســماء، ينبغــي أن أريــح عينــاي مهــلي قــرن مــن هــول مــا رأيتــه !

بعــد انتهــاء يــوم دوامــي كنــت ذاهبــة إلى منــزلي الــذي لا يضــم ســواي كنــت وحيــدة وعــلى مــا يبــدو ســأظل كذلــك، دمتــي وحيــدة يــا أنــا !

راوغنى شعور أن أسير تلك المرة للمنزل .

اثناء سيري في الزحام وتلك الشوارع التي لم أحبذ يوما السير فيها، و كأنها إرادة من الرب لأستمع لتلك النبرة التي ترددت على مسامعي من قبل أثناء مروري بجانب إمرأة في عمر العشرينات وكان صوت من يُصاحبها عالي نسبيا الذي دفعتني عيناي للنظر إليه و تفاجأت حين رأيت صفعة مصدرة صوتا على وجه تلك المرأة، ارتدت عيناي بسرعة إلى ذلك الرجل لأتأكد من ملامحه سريعا !

و صدمنى حين وجدته أنه من كان سببا في كل ما عانيته في الفترة السابقة.

من حسن الحظ أنه لن يتعرف على شكلي إلا في حين ذكرته بي فقط ,لكنه كيف له أن يكون بتلك القسوة كيف لم أراها، لكنه القلب إن أصبح أسيرا لأحدهم، فاللهم لا تُعلق قلوبنا إلا بك .

أيعقل أنني كنت أتمنى أن أكون محل تلك المرأة رددت كثيرا {الحمد لله الذي ردَ عنَا كل سوء} أصبحت أتقزز من رؤيته كيف لك ان تعامل قواريرا بتلك الطريقة المهينة !

قد يكون ما نوده شرا لنا و يغمرنا الحزن في حين فقدناه وعدم حصولنا على ما نتمناه، حقا {لو علمتم ما في الغيب لاخترتم الواقع} فالكثير من ما في الغيب يغير مصير كل حياة .

الآن انا في غاية السرور لأنه لم يُرزق حبي من يعلم ماذا كان ليحدث إن رُزقت حبه!

رضيت ربي بما كتبته من أجلي شرا كان أو خيرا .

همّ أحدهم بإغلاق الأجندة قائلا: يااااه حياتك كلها في الأجندة ولا إيه , ويا ترى كاتبة اختطافات من حياتنا ولا نسيتينا

أردفت قائله :عندك شك يا مالك !

مالك بإبتسامة واسعة : حكايتنا صفحة كام يا إسراء لو سمحتي !

حكت قائلة :جاية في الطريق ,كله بدوره

مالك :يا مسهل

- يلا كمل

12 من نوفمبر

صديقي إن كانت حياتك ليست بجحيم فاستعد لإلتقائك للجمر.

ستكون تلك المفكرات شاهدة على أسوأ أيام حياتي وبعض من أيام حياتي السعيدة إن كان لي عمرا لألقاها.

لقد تلقيت رفدا اليوم من عملى.

و السبب ؟

ان المال الذى سلمته كان ناقصا ؟ لا أدري متى كان ناقصا، لكنني لا أظن أن وقوعي بالخطأ وارد مما سيسبب ذلك في وقف صفقة ربح كاملة، ربما أخطأت بالإحصاء.

قد هُدم آخر ما تبقى لي، حتى من يُراسلني ليمنحني الإطمئنان افتقدته !

ذهبت إلى غرفتي لأجمع أغراضي من المكتب فلم يعد لي مكان هنا فوجدت ورقة ملونة كُتب فيها {ربما خيرا من يعلم }

تمتمت {من أنت يا رجل ستصيبني بالجنون قريبا } .

ذهبت إلى مكاني الذي يأوي كل ذكرى حزن إلى تلك الحديقة التي ستهلك بسبب حزني!

سُميت بالدنيا لأنها دائما دنيئة و إن كنت على صواب يخرجون فيك ألف عيب.

قطع تفكيري مكالمة يُخبرني فيها مديري أن بإمكانى العودة مجددا لعملي، قد حصلوا على سبب النقص بالمال .

لا أدري لم يقدني شغفي للعودة مرة اخرى لكنني أومأت له بموافقتي للعودة مجددا.

و فجأة تظهر فتاة صغيرة وسط الحديقة لفتني بهجتها، لحظة !

إنهـا نفـس الفتـاة التـي تسـلمني الرسـائل الملونـة التـي لونـت حيـاتي.
قادتنـي أرجـلي للتوجـه إليهـا ثـم هبطـت قليـلا لأصـل لمسـتواها فقلت: أتتذكرينني؟
أطلقت ضحكة بريئة فقالت:بالطبع أنت زوجة أخي!
ضحكت لقولها ذلك فقلت: و أين زوجي إذن يا فتاة ؟
ليندفع شخص من خلفي قائلا : أنا هنا !
لم أعـرف مـا هـو الـرد المناسـب لذلـك الموقـف كـم تنميـت أن أختفـي سريعـا، حاولـت الهـروب واكتفيـت بإبتسـامة وذهبـت سريعـا .
بعد قطع مسافه ليست كبيرة وجدت تلك الصغيرة تركض خلفي ..
مالك : ثواني بس انتي بتفشري ؟
- ليه بس ؟
مالك:انتى سألتيها فين أخوكي مش جوزي، وأنا رديت على هذا الأساس
-لا يباشا سألت عن جوزي ..
مالك:فشَارة أوي !
-هنقف يعني لغاية هنا ؟ هات الأجندة !
مالك: لا هكمل بإحترامي خلاص
أردفت قائلة :ها أنت مجددا يا فتاتي ...ما اسمك
الصغيرة بنفس متقطع :آ..ي.ة اسمي آية
-حسنا ماذا تريدين الآن يا آية ؟
آيه :تلك الورقه م
-قطعتها قائلة :من أخيك !
آية :تماما
أتسائل ما بها حقا تلك المرة، لكن لماذا تلك المرة مختلفة !
إنها أكثر من ورقة ,كانت ثلاث ورقات تحتوي على أجمل ثلاث كلمات {أتقبلين } {الزواج} {بي }

مالك :ويوم النهارده لازم يتضم للأجندة

-لا مـن النهـاردة هبـدأ فى أجنـدة جديـدة لأنها عبـارة عن حيـاة جديدة، وهتتغـير للأجمـل ..صح عرفتنـى ازاي ؟

مالـك :مـن زمـاان المـكان بتاعـك كان بتاعـي لغاية مـا جيتي تعـدي انتي فيـه ,ولقيـت دمـوع متتعـدش بتنـزل مـن عينـك سـاعتها وأول رسـالة أكتبها ,صـدف بتجمعنـا مـش أكتر !

-أخرجت مذكرات أخرى :هكتب من النهارده هنا ! ,هات القلم .

مالك :اتفضلي

20 من نوفمبر

هنـاك شـبيه لروحـك في مـكان ,سـتجمعكما الصـدف قريبـا وربمـا القـدر , إلى كل مـن يشـعر بأنـه لم يحصـل عـلى نصيبـه كامـلا ,ربمـا كان شرا صرفـه عنـك ليأتيـك بخـير منـه !

في ذلـك اليـوم تـم عقـد قـراني انـا وشـبيه روحـي الـذي التقيتـه عـن محـض الصـدف، وقعـت في حبـه عـن طريـق أوراق ملونـة، حـين شـعرته ظـلا لي و لم يبـح حفاظـا عـلى قلبـي ..

كـم مـن محـب أخفـى حبـه دون أن يعلـم الآخـر، يعلـم أقـل تفاصيلـه لكـن لـن يتحمـل الإبتـلاء في مـن يحبـه ..

انتهاء قصة لا يعنى انتهاء حياة بل يعني بداية لقصة جديدة، قصة تعيد بك الأمل من جديد، تُداوي كل جرح افتعلته بك الحياة ,تروي ظمأ السنين وصبر الأعوام، فصن من تحب كجوهرة عليك تخبئتها ليوم ما، فإن كان خيرا ستُرزق بحبه وإن كان شرا كفاه الله عنك، أعلم أنك عانيت الكثير في حياتك، فإنها لن تكون خضرة بقدر الجنان ولن تكون في جحيم دائم، لكن عوض الله كبير فاصبر أنت لا تدري قدر الخير بعد كل حدث اعتقدته شرا أصابك ستجد خيرك في شرك .

رحمة أحمد

3- هذيان امرأة مجنونة

قصة امرأة عانت الويلات من أقرب النّاس إليها؛ من أحسنت إليه وأحبته كابن لها هو من غدر بها، لينتهي بها المطاف مجنونة ومجرمة ترتكب أفظع جريمة يمكن أن ترتكبها أم.

تفاصيل الدراما في: هذيان امرأة مجنونة

مرت عليها ليلتها الأولى بين أحضان الشارع، منطوية على نفسها في زاوية بيت كان لها ذات يوم. تفترش ريماس الأرض وتلتحف السَماء، في جو أشبه بأفلام الرعب، بل هو الرعب نفسه؛ شوارع خالية مظلمة إلا من أضواء بعض السّيارات تمر بين الفينة والفينة، لا شيء غير نباح الكلاب الضّالة يمتزجُ بصفير رياح الخريف الباردة، تمسك ريماس وشاحا مهترئا بكلتا يديها وتلفه حول صدرها، ليعبث به الريح حالما تفلته يدها، فتتمسك به عله يدفع عنها بعض الصقيع والبرد.

مرتجفة، جائعة، خائفة، تجحظ عيناها عند سماع خشخشة هنا أو هناك.

ريماس امرأة في آخر العقد الرابع من العمر، لكنها تبدو في السادس منه، أثقلتها الحياة بالهموم منذ بداية عقدها الثالث. تنظر هنا وهناك ولا تكاد تبصر شيئا في جنح الظلام، خافضة رأسها، تسقط من عينيها لآلئ سرعان ما تنحدر على وجنتيها، فتمسحها بطرف ذاك الوشاح القديم، في صمت رهيب ترثي حالها: «ليتني مت ساعة قتلته، ولم أُمضِ عمري بين السّجن ومشفى المجانين وما تبقى منه سأمضيه هائمة في الشوارع» ثم ترفع عينيها لشرفة البيت الذي كان بيتها، ويتراءى لها أنها تسمع صوت ضحكاتِ فتاة ممزوجة ببكاء رضيعٍ،

كأن ذاك صوتها منذ أكثر من عشرين عاما، تضع يديها على أذنيها لتتفادى الأصوات التي اخترقت آذانها راجية: «يكفي، يكفي، لم أعد أحتمل، اصمتوا»

تحدّثُ نفسها همسا وهي تحرك رأسها يمنة ويسرة كالمجنون وكأنّها تحدث أحدا: «كنتَ أعز من ابني، أتذكر يا ياسر، لم أكن خالتك فحسب بل كنت كأم لك، أتذكر حين كنتَ صبيا كنتُ أداعبك وتنام في حضني رافضا حضن أمك، كنت أهديك اللعب التي تحبها، وأرافقك للمدرسة، أساعدك في مراجعة دروسك وعندما تعاقبك أمك تستنجد بي، أتذكر» ثم تزفر بقوة في غضب شديد ونظرة حادة.

تصمت قليلا وكأنها تصغي لأحد يكلمها ثم ترد بصوت حزين: «لا، أنا لا أحبك، بعد فعلتك تلك لم أعد أحبك، خدعتني يا ياسر؛ حين كنت تأخذ مني مصروفك وتشتري به سما يخدر عقلك ويذهب برشدك وأنا ظننت أني أدللك إلى أن صارحتني أمك سناء بإدمانك للمهلوسات، وترجتني أن أتوقف عن تدليلك.

تضم يديها إلى صدرها وتحركهما يمينا وشمالا وتصدر صوتا كأنه دندنة لحن أغنية لرضيعٍ: نم يا صغيري، نم، ماذا أسمع؟ جرس الباب، هيا لنفتحه سويا، حبيبي عثمان ها هو أخوك ياسر قد صار شابا سيهتم بك كثيرا»

تعبس وتردف: «لا ليس أخوك؛ إنه ياسر قاتلك بني»

شهقاتها تتعالى، إرنان بكائها زاد ودموعها مطيرة: «لن أعطيك شيئا هذه المرة، ياسر! ماذا تفعل؟ رد لي ولدي عثمان وسأعطيك ما تريد»

بصوت مبحوح يكاد يختنق: «لكنك أخذت كل مالي ودسسته في كيس وبقيت تحمل عثمان بيد والخنجر حول رقبته باليد الأخرى، لم ترحم دموعي ولا صراخ عثمان، لم أتوقع أن تفعلها، حاولت تهدئتك لافتكاك ولدي من بين يديك لكن عقلك كان غائبا بفعل المهلوسات،

أعطيتـك كل مـا أملـك مـن مـال ومجوهـرات لكـن غـرورك وطمعـك أعميـاك»

تمسـح دموعهـا بطـرف الوشـاح، ترتكـز عـلى عصـا بيدهـا وتضيـف قائلـة: قلـت إنـك تريـد المزيـد لتفـر مـن البـلاد كلّهـا، بلـد لا يحتوينـي لا أريـد العيـش عـلى أرضـه، تنكّـرتَ لي ولعائلتـك ولوطنـك وأردت أن تكـون عبـدا لأجنـاس خسيسـة، فكنـت عبـدا لنفسـك ولشـيطانك قبـل ذلـك، رجوتـك أن تـترك ولـدي عثـمان، لكنـك أخذتـه منـي عنـوة وركبـت دراجتـك الناريـة واختفيـتَ في لمـح البـصر، هِمـتُ في شـوارع المدينـة بحثـا عنكـما حتـى ظـنّ الجميـع أننـي جننـت، دمـرت عائلتـي بفعلتـك.

رفعـتْ رأسـها وأمسـكت قبضـة يدهـا تلـوح بهـا في الهـواء كأنهـا تطـرق بابـا ثـم أخفضـت يدهـا: «هـل رأيتـم ولـدي عثـمان لقـد اختطفـه أخـوه يـاسر، واختطـف معـه قلبـي وعقـلي.....»

تلتفت حولها

-لمـاذا لا يجيبنـي أحـد؟ ألا يعـرف أيٌّ منكـم أيـن اختفـى ذاك الشـيطان بولدي؟

تلتفـت جهـة اليمـين قائلـة: «وأنـت يـا سـناء، أنـت أختـي، ألا تعرفـين أيـن ولدانـا؟ تبـا لـك مـن أخـت»

تجلـس لحظـات ثـم مـا تلبـث أن ترتكـز عـلى العصـا لتقـف مـن جديـد وعبراتُهـا مطـيرة: «همـتُ عـلى وجهـي بـين أزقـة ومنـازل المدينـة والقـرى المجـاورة حتـى وجدتـك بعـد أسـبوع مـن البحـث، كنـتَ تحمـل حقيبـة صغـيرة وتخـرج خلسـة في جنـح الظّـلام مـن أحـد البيـوت، تريـد السّـفر، هرولـتُ نحـوك بقدمـين أعياهـما طـول البحـث والمسـير، رجوتـك متوسـلة ومسـتعطفة» أيـن ولـدي عثـمان؟ أسـتحلفك باللـه أن تعيـده لي، عثـمان وحيـدي» فدفعتنـي لأسـقط أرضـا، قلـت لي لحظتهـا «ابنـك عثـمان ذبحتـه ورميتـه للـكلاب» ورميـت لي صورتـه وهـو ملطـخ بالدّمـاء.

هممتَ بركوب الدّراجة لكنّي لن أتركك تهرب منّي هذه المرة، أخرجت خنجرا دسسته بين ملابسي كان سلاحي في رحلة البحث، أدافع به عن نفسي ضد خفافيش الليل والشوارع، وطعنتك به بدل الطّعنة عشرا.

وتمسك قبضة يدها ترفعها فوق رأسها وتهوى بها وتكرر ذلك مرارا وتكرارا وبكل قوتها.

ثم تفتح قبضتها وتنظر إليها، تمسحها بملابسها صارخة: دم، دم، يداي ملطختان من يومها، لكني خلّصت العالم من شرك، لم تكن طيّبا أبدا، روحك الخبيثة تتعذب الآن، أنا أسمعها وهي تصرخ في الجحيم، طالبة العفو والغفران ولن أغفر لك فعلتك أبدا، أبدا، لكن الجحيم الذي تركتني فيه أشد.

ثم تنطوي على نفسها في صمت، مرتجفة، تجلس وهي ممسكة بطرف الوشاح بكلتا يديها وإلى جانبها العصا.

بدأت تهدأ قليلا فإذا بصوت نباح الكلاب يتعالى، أمسكت عصاها وأخذت تلوح بها يمينا وشمالا: «اذهبي أيتها الكلاب اللّعينة، نهشتِ عظام ولدي الرّضيع، اللعنة عليك وعلى ياسر، سحقا لك ولياسر.

وبينما هي كذلك إذا بيد تربت على كتفها، فتنزوي مفجوعة وترفع رأسها، شاب في مقتبل العمر ينظر لها بعينين تشعان حبا وتذرفان دمعا، مد يده في محاولة لمساعدتها على الوقوف: «هات يدك أمّي، بحثت عنك كثيرا حتى وصل بي المطاف إلى هذا المكان، شككتُ في مجيئك إلى هنا بعد اختفائك من المشفى».

تنظر إليه باستغراب: «أ ما زلت تناديني أمي؟!»

مدت يدها إليه، ساعدها على الوقوف

-أنت أمّي، وأنا ابنك عثمان، أنا لم أُقتل، هل علي أن أذكرك بذلك في كل مرة أراك فيها؟

يقبل يدها ثم يحتضنها

- هيا لنعد إلى المشفى، إنهم يبحثون عنك، لماذا هربت منها؟

نظرت إليه نظرة رجاء: «لا أريد العودة إلى هناك، أبقني هنا قرب منزلي.»

يجيبها: «لم يعد منزلنا، تملكه زوجة أبي بعد وفاته.»

لم تكترث لكلامه.

-لا أريد العودة، ذاك المشفى يشبه السّجن.

حاولت سحب يدها من يده، والتفتت إليه بعد خطوة واحدة من السّير

-ابني قُتِل، فكيف لك أن تكون ابني؟ هل أنت روحه تمثلت لي بشرا؟

-لا، أنا عثمان بلحمه وشحمه لم أمت، صدقيني.

-وأين كنتَ عندما تخلصت من ذاك الشيطان؟

-كنت هناك في نفس البيت الذي خرج منه ياسر رحمه الله.

-وتترحم عليه! أنا أسمع روحه صارخة في الجحيم لا يستحق الشفقة من باع روحه للشّيطان؟

في محاولة منه للدّفاع عن ياسر: «ياسر لم يقتلني بل تركني مع صديقة له كلّفها برعايتي وطلب منها تسليمي لك بعد سفره، هذا ما أخبرتني به خالتي، ولأنك حوكمت ودخلت إلى السّجن فقد فقدت أهليتك في حضانتي، فسلمتني تلك الصديقة لخالتي سناء لتتولى تربيتي.»

دفعته بقوة، تعثر إلى الخلف وكاد يسقط.

-»تبا لك، أنت ابن سناء، أخوك ياسر قتل حبيبي عثمان وأنت تريد قتلي.

تريد أن تكمل ما بدأه ذاك الشيطان، ابتعد عني لست ولدي»

ودسـت يدهـا في طـوق ملابسـها وأخرجـت صـورة.

-انظر، هذا ما تبقى من ابني عثمان، صورته هو يغرق في دمائه.

تقرّب الصّورة من شفتيها وتقبّلها بحرقة المفجوعة في فلذة كبدها.

يقـترب منهـا خطـوة وتنـزل عبراتـه تباعـا، وهـو يسـتجدي رضاهـا دون جـدوى.

-ليست صورتي أمي، انظري إليها جيدا، هاتها أمي.

ويمدّ يده نحوها

- تريد أخذها مني، لا لن تأخذها.

تنظر للصورة وكأنها تراها لأول مرة.

-وجه عثمان ملطخ بالدماء، لكنها ملابسه أنا أذكرها جيدا

وتدس الصورة في صدرها.

تقـترب منـه وتحـدق في عينيـه: «عينـاك تشـبه عينـي ابنـي عثـمان» ومـدت يدهـا تمسـح خـده مـن عـبرات بللتـه فأمسـك كفهـا يقبلـه.

لاحـت ابتسـامة فـرح عـلى محيـاه، ولمعـت عينـاه ببريـق حـب افتقـده طويـلا.

-»أجـل أمـي أنـا عثـمان» قالهـا بصـوت هـادئ وهـو يمسـك يدهـا يقبلهـا

سحبت يدها بقوة من بين يديه.

ابتعدت ثانية: عثمان مات مذبوحا، ذبحه ياسر وألقاه للكلاب.

-انتظر لحظة، تريد إعادتي للمشفى، أم تريد أخذي للسجن؟

-أمي هناك يعالجونك لتشفي وبعدها نعيش معا.

-آه فهمـت الآن إذن أنـت ممـرض يريـد أن يعطينـي ذاك المنـوم Diazipam

لأخلـد للنـوم، أصبحـت أعرفـه جيـدا واليـوم عندمـا جـاءت الممرضـة تظاهـرت بابتـلاع القـرص وبالإغـماء ثـم بصقتـه حالمـا خرجـت وهربـت من

هنـاك، هـم يقتلـوني، لا يصدقـون أني لسـت مجنونـة، يريـدون أن أبقـى نائمـة طـوال الوقـت، لا أريـد الرّجـوع إلى هنـاك أرجـوك.

يمسـكها مـن يدهـا في محاولـة فاشـلة لتهدئتهـا: «هيـا أمـي لنعـد إلى المشـفى أنـت في حاجـة للراحـة والعـلاج»

أفلتـت يدهـا مـن قبضـة يـده، ودفعتـه بقـوة، أسـقطته أرضـا، هَـمّ بالوقـوف وبينـما هـو منهمـك في نفـض مـا علـق بملابسـه مـن أتربـة أمسـكت ريمـاس العصـا بكلتـا يديهـا ورفعتهـا فـوق رأسـها وهـوت بهـا عـلى رأسـه، فقـد وعيـه وسـقط مغشـيا عليـه، والدمـاء تنـزف مـن رأسـه وتغطـي وجهـه.

جثت على ركبتيها أمامه ويدها اليمنى ترتكز على العصا.

-تناديني أمي لتخدعني، عثمان مات رأيت صورته ملطخة بالدماء.

مـدت يدهـا اليـسرى وأمسـكت أذنـه: «أنـت لا تفهـم ولا تسـمع الـكلام...»

وبينـما هـي تحـادث جثتـه تنبهـت لوجـود وحمـة بنيـة خلـف أذنـه اليمنـى تحسسـتها بكفهـا أفلتـت العصـا، وكأن لسـانها خـرس وجحظـت عيناهـا، رفعـت ريمـاس رأسـه بكلتـا يديهـا وضمتـه إلى صدرهـا بلهفـة ودموعهـا عـلى وجنتيهـا غزيـرة ثـم صرخـت بأعـلى صوتهـا: ربـاه، إنـه ولـدي عثـمان.

زينة بن عمار

4- نقطة تحول

تلك الحادثة، لقد كانت السبب في ضياع مستقبلي، كانت نقطة تحولٍ لحياتي بأكملها...

أدعى يوسف، طالبٌ في كلية الطب البشري بجامعة عين شمس، لقد كنت متفوقًا ومحبوبًا عند أساتذتي، كانوا يخبرونني دائمًا أنني سأكون ذا شأنٍ عظيم، ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، وقعت لي حادثة أودت بمستقبلي، وأنا الآن كالموتى...

منذ خمس سنوات...

كنت عائدًا من السكن الجامعي في وقت متأخرٍ من الليل، كنت أمشي في شارعٍ مظلم، وسمعت صوت استغاثة، ذهبت في اتجاه الصوت فوجدت شابين يضايقان فتاة، ذهبت لمساعدتها فإذا بي أجد أحدهما يطعنها بالسكين في قلبها، لتسقط الفتاة مفارقةً الحياة، كانت الكارثة الكبرى أنهما شاهداني أحاول الهرب بعد رؤيتي لما فعلاه، هنا قررا أن يُلحقاني بالفتاة، ركبا سيارتهما ودهساني بها، لم أمت وهذا هو الأسوأ على الإطلاق، دخلت في غيبوبة لمدة أربع سنوات، وعندما أفقت اكتشفت أنني لم أعد كما كنت، قدرتي على الاستيعاب تضاءلت، لم أعد أستطيع التركيز أو التذكر كما كنت...

لاحظ كل من كان يعرفني ما حل بي؛ فأنا لم أعد أصلح لشيء، وأصبحت طالبًا فاشلًا لا تثبت في ذهنه معلومة، أصابني الحزن وكنت دائم التوتر عندما أفكر فيما ينتظرني في المستقبل القريب...

أصبت باكتئابٍ حاد، فقررت الذهاب لتلقي العلاج، لكنني تراجعت وفكرت فيما قد يقول الآخرون عني، في مجتمعٍ يحكم على كل من

يذهب إلى طبيبٍ نفسي بالجنون...

هنا حاولت التقرب من بعض الأشخاص في الجامعة، ربما يكونون سببًا في تحسني، وبالفعل تعرفت على عمر ومحمد وعبد الله، كانوا يحبون اللهو والتنزه ففكرت أن هذا قد يساعدني...جاء عبد الله في يومٍ مقترحًا أن نقوم بمغامرةٍ لنكسر بها روتيننا الممل، وكانت المغامرة هي جلسة تحضير مارد من الجن، حيث كان عبد الله مولعًا بتلك الأشياء، وقال لنا أنه يمتلك كتابًا وجده في منزل جده، فأخذه خفيةً...

قررت الذهاب معهم؛ فالحزن الذي احتلني جعلني أعتقد أن تلك الجلسة فيها علاجي، جعلني يأسي أفكر أن هذا المارد قد يلقي بسحره عليَّ فأعود لسابق عهدي، رحبت بالفكرة بحفاوةٍ شديدة، واتفقنا على الذهاب إلى منزل عبد الله مساء يوم السبت؛ لأن عائلته ستكون قد سافرت إلى قريتهم في الصعيد...

وفي العاشرة من مساء يوم السبت تجمعنا في منزل عبد الله متحمسين لما سنقوم به، أحضر عبد الله بعض المشروبات، ثم دخل إلى غرفته واستغرق بعض الوقت، ليخرج ومعه الكتاب الذي أخبرنا عنه، ومعه بعض الشموع وزجاجةٍ بها سائل أحمر اللون...سألته بفضول عن السائل في الزجاجة...

يوسف: ما هذا الذي في الزجاجة يا عبد الله؟

عبد الله: لا أعرف ما هو بالضبط، ولكنني أعتقد أنه حبرٌ أحمر.

محمد: كيف أحضرته وأنت لا تعلم ما هو؟

عبد الله: لقد استعنت بشخصٍ من العارفين، أنتم تعلمون هؤلاء الأشخاص الذين أعطاهم الله القدرة على رؤية الجن والتحدث معه...

عمر: أرني إياه...

أخذ عمر الزجاجة وفتحها، ثم أخرج نقطةً على يده وإذا بوجهه يتحول فجأة إلى الذهول والخوف.

عمر: هذا ليس حبرًا...إنه دم كائنٍ ما...

أصابني الذهول ثم حل الصمت...حقيقةً أصابني الخوف للحظات، ثم تحول إلى ثقةٍ بأن علاجي صار بين يدي...

محمد: إذا قمنا بهذه الجلسة سنكون كمن يذهب بقدميه إلى الجحيم، إنه الهلاك بلا أدنى شك.

عبد الله: لا تقلق يا محمد، أنت تعطي الأمر أكثر من حجمه؛ لقد تحققت من الأمر مسبقًا وعلمت أنه غير مؤذٍ، فقط يجب علينا تنفيذ ما كتب في هذا الكتاب دون حدوث أي خطأ.

يوسف: أنا متحمسٌ للقيام بهذه الجلسة، دعونا نبدأ؛ فقد قام غيرنا بهذا من قبل ولم يصبهم أي مكروه.

عمر: لست متأكدًا من هذا، وأشعر بالقلق..

محمد: وأنا مثلك..

عبد الله: هيا يا شباب، كفوا عن هذا ودعونا نقوم بالأمر، وأعدكم أنني إذا شعرت بشيء قد يؤذينا سوف أوقف الجلسة في الحال.

يوسف: هيا دعونا نبدأ؛ إنها الثانية عشرة والنصف بعد منتصف الليل.

عبد الله : إنه الوقت المثالي للقيام بهذا.

محمد: حسنًا ولكن كما اتفقنا يا عبد الله...

عبد الله: بالطبع يا صديقي لا تقلق.

رسم عبد الله بالدم دائرةً في الأرض، وبداخلها نجمة خماسية، وعند كل ذراع من أذرع النجمة وضع شمعة، وأطفأنا المصابيح ثم جلسنا حول الدائرة، وأخذ عبد الله يقرأ كلماتٍ غير مفهومةٍ من الكتاب، مرت ثلاث دقائقٍ دون حدوث شيء، وفجأة انطفأت الشموع وفُتحت النافذة، فابتسم عبد الله...

عبد الله: هل حضرت أيها المارد؟

لم نجد أية إجابة، ولكنني شعرت بشخصٍ يقف بجانبي، كرر عبد الله السؤال ولم نجد إجابة مرةً أخرى...

عمر: يكفي هذا، لقد أنقذنا الله مما كنا سنفعله في أنفسنا، لنغادر، لقد تأخر الوقت.

عبد الله: معك حق، يبدو أن الأمر لم ينجح معنا.

محمد: حسنًا، لنذهب إلى منازلنا الآن.

خرجنا وذهب كلٌ منا إلى منزله، ولكنني شعرت بشخصٍ يتبعني، فنظرت خلفي ولكن لم أجد أحدًا، أكملت سيري وعدت إلى منزلي، دخلت إلى غرفتي فإذا بي أجد شخصًا جالسًا على سريري ويقول لي أنني المختار...شعرت بخوف شديد، فقد فهمت من يكون بالضبط، إنه ذلك المارد...

المارد: أعلم أنك أكثر من كان يؤمن بوجودي وأكثر من كان يحتاجني في تلك الجلسة، وقد أتيت إليك، ولكن لكل شيء ثمن، أنت ستقتل كل شخصٍ كان في الجلسة وفي المقابل أنا سأحقق لك ما تتمنى...

يوسف: ماذا؟!تريد مني أن أقتل أصدقائي؟!!

المارد: نعم وإلا أنا من سيقتلك ويقتلهم، وبأبشع طريقةٍ يمكن أن يموت بها إنسان.

يوسف: افعل ما شئت، فأنا لن أقوم بهذا أبدًا.

المارد: سأعطيك فرصة حتى صباح الغد، إذا لم تخضع لأوامري، سأنفذ أول مهمةٍ وهي قتل أحد أصدقائك.

قال جملته الأخيرة ثم اختفى، جلست أفكر ماذا أفعل، لكنني لم أجد سوى أن أحذر أصدقائي من هذا الشيء وأخبرهم بما حدث...

أجريت مكالمة جماعية معهم وأخبرتهم بما حدث، ولكن لم يصدقني أحد، فجميعهم يقولون إن هذا بسبب الخوف والقلق مما حدث، وأنهم بخير ولم يلحظ أيٌ منهم أي شيءٍ غريب.

فكرت أن هذا مجرد وهم صنعته بسبب خوفي، وذهبت للنوم...

استيقظت في اليوم التالي على صوت هاتفي يرن، فإذا بي أجد محمد يسألني عن عبد الله، فأخبرته أنني كنت نائمًا منذ آخر مكالمة دارت بيننا، فقال لي أنه لا يرد على هاتفه ولا أحد منا يعرف ماذا به، شعرت بالقلق يتملكني...

محمد: ما رأيك أن نذهب للاطمئنان عليه؟

يوسف: حسنًا سأنتظرك أسفل منزله.

وبالفعل تقابلنا وصعدنا إلى شقته، أخذنا في رن الجرس ولكن لا أحد يجيب، اتصل محمد به فسمعنا صوت رنين هاتفه داخل الشقة، ولكن لا أحد يجيب أيضًا، قررنا كسر الباب والدخول، دخلنا فإذا بعبد الله مرميًا على الأرض، هذا المنظر لا يمكن نسيانه أبدًا؛ فعبد الله لم يكن بالشكل الذي نعرفه، بل كان جسده في جانب ورأسه في جانب آخر...

لا نعرف ماذا نفعل، هل نتصل بالشرطة؟ ولكن ماذا سيفعلون بنا؟ بالطبع سيقولون إننا الفاعلون، ولكن إن لم نتصل ماذا يمكننا أن نفعل؟

محمد: يجب أن نهرب قبل أن يرانا أحد هنا، بالطبع سيعتقدون أننا الفاعلون، هيا بسرعة، لنذهب من هنا..

وبالفعل تركنا عبد الله ورحلنا بسرعة، ونحمد الله أنه لم يرَنا أحد، ذهبنا إلى منازلنا وكلٌ منا يفكر فيما حدث ليلة أمس بدايةً بالجلسة إلى مقابلتي للمارد...لم نتحدث إلى بعضنا إلى أن جاءت عائلة عبد الله ووجدوه كما وضّحت، بالطبع استدعتنا الشرطة للاستجواب، وقلنا كلنا أننا كنا برفقته في منزله ثم غادرنا ولا نعرف عنه أي شيء بعد تلك الليلة، لم يصدقوا ما قلناه إلا بعد اطلاعهم على تقارير المعمل الجنائي وهي أنه قتل صباح اليوم وليس مساء أمس، لم تجد الشرطة أي أدلة

فقامت بحفظ القضية...

وفي اليوم التالي جاء المارد..

المارد: صدقتني الآن أليس كذلك؟ سأعطيك فرصةً أخرى، وإذا لم تخضع سأجعلك تبكي دمًا على موت أصدقائك واحدًا تلو الآخر... فرصتك الأخيرة حتى صباح الغد.

أخذت أفكر ماذا أفعل وكيف أتصرف، قررت الذهاب إلى أحد العارفين الذين تحدث عبد الله -رحمه الله-عن أحدهم، أخبرت ذلك العارف بكل شيء بدايةً من الجلسة إلى آخر محادثةٍ دارت بيننا...

العارف: حسنًا، اذهب الآن وعُدْ إليَّ بعد ثلاث ساعات...

ذهبت إلى المنزل فوجدته بانتظاري.

المارد: هل تعتقد أنه يمكنه مساعدتك حقًا؟ كم أنت ساذج، ولكن لا مشكلة افعل ما تريد لن أمنعك، ولكنني أيضًا سأفعل ما أريد، وأنت من اخترت...

لم أتمكن من قول شيء لأنه اختفى، لا أذكر ماذا حدث بالضبط بعدها، لكنني عندما أفقت وجدت نفسي مرميًا على الأرض، نظرت إلى الساعة وجدت أنه الوقت المتفق عليه للذهاب إلى العارف، وبالفعل ذهبت...

العارف: لقد بحثت فيما قلت ولم أجد شيئًا، أنت مريض يا بني وتحتاج إلى طبيب نفسي، كل ما قلته هو وهمٌ صنعه عقلك الباطن.

يوسف: وهم!! صنعه عقلي الباطن!! إذًا كيف قتل صديقي بتلك الطريقة الوحشية؟ ومن فعل ذلك؟ لا يوجد إنسان بتلك البشاعة التي تجعله يقتل آخر بتلك الطريقة الوحشية، الآن قتل عبد الله ثم سيقتل محمد وعمر وأنا سأكون بعدهما، هكذا قال لي، إذا كنت لا تعرف شيئًا فلا تتحدث، وداعًا.

تركت منزل العارف وخرجت لا أرى أمامي من كثرة الغضب، ماذا

أفعـل الآن؟ الهاتـف يـرن...

عمـر: مرحبًـا، أيـن كنـت منـذ أمـس يـا يوسـف؟ ألا تعلـم أنهـم وجـدوا محمـدًا مقتـولًا في حـمام منزلـه منـذ سـاعتين؟! ألا تأبـه بنـا وأنـت تعلـم أن المـوت ينتظرنـا جميعًـا!!

يوسف: ماذا؟! محمد أيضًا؟!! يجب أن نتقابل الآن يا عمر إنه أمرٌ خطير.

عمر: حسنًا سأكون عندك بعد ربع ساعة.

تقابلنا وأخبرت عمر بكل ما حدث عند العارف...

عمر: حسنًا دعنا نذهب عند شيخٍ أثق به، هو من سيخبرنا كيف ننقذ أنفسنا.

ذهبنا إلى الشيخ الذي تحدث عنه عمر، وجدناه في المسجد القريب من منزله، قصصنا عليه ما حدث، فقال مثلما قال العارف، ما معنى هذا الكلام؟! هل أنا من يقتل أصدقائي؟

قررت الذهاب إلى مصحة للعلاج، لا تزال هناك فرصة لأنقذ عمر، ولكن في صباح اليوم التالي وُجِدَ عمر مقتولًا في شرفة منزله، وكتب على الأرض بدمائه «يوسف مجنون» هنا اتضحت الصورة، أنا لم أفعل هذا ولكن يبدو أن هذا الشيء يسكنني ولا أحد يصدقني، قررت الشرطة إبقائي في المصحة، أنا الآن هناك أعيش كالموتى ولا أعرف ماذا سيحدث لي...

***

أنا سارة ممرضة يوسف في المصحة، إنه الآن ميّت، ذهبنا إلى غرفته وقت الفحص، وجدناه قد قتل نفسه، وقد وجدت هذه القصة مكتوبةً وموضوعةً في غرفته، الآن فهمت لماذا طلب مني ورقًا وأقلام...يوسف كان مريض اكتئاب، وعندما لم يتلقَ العلاج تضاعف المرض، وأصبح انفصامًا في الشخصية، لم يدرك هذا أو رفض التصديق، كما أنه هو من قتل أصدقاءه دون وعي...

تمت.

رانيا مختار حسين

5-قربان

غرفة مبعثرة ذات طراز حديث أثاثها تدرج بين اللون الأسود المُظلم كقلب صاحبها... شُقت المرآة لنصفين وتناثرت الشظايا أرضًا تجرح كل من لامسها بقدميه الحافيتين، ملابس مُمزقة صُبغت بلون الدماء القاني تبعثرت فوق الفراش بعشوائية تُدمي لُب الجالسة أرضًا ضامة ركبتيها لصدرها ويداها تحتضنان جسدها المتكدم تستند بذقنها على ساعديها وخصلاتها القصيرة البُنية كلون حبات البن انسابت فوق عينيها الدامعة..

سبعمائة وثلاثون يومًا وهي تعاني بكل يوم، عامان تشكلت قسوته في حروف اسمه «جبار» ظهر طيف ابتسامة مريرة على زاوية شفتيها وهي تتذكر كلمات والدتها الراحلة وهي تخبرها بابتسامتها الحنونة بعدما تُغني لها بصوتها الحسن كاِسمها «لكلٍ نصيب من اسمه صغيرتي فما أجمل هديل صوتك يا رنيم»...

ارتفع صوت شهقاتها المتألمة كمدًا على حالها، أغمضت عينيها السوداء والدموع تجري فوق وجنتيها المحفورة بأثار أناملـه..

فتحت عينيها بخوفٍ جعل جسدها ينتفض على صوت باب الغرفة وهو يصطدم بالحائط بقوة، أغمضت عينيها بأسى وهي تستمع لنبرته الخشنة:

- ما زلتِ كما أنتِ يا حمقاء! هيا ارتدي ملابسكِ... أعيدي ترتيب الغرفة وأعدي لي الطعام فأنا جائع

قابلت تذمره بالصمت ليقترب منها بحركة سريعة ممسكًا بساعدها بين أناملـه القاسية تضغط عليها، جذبها لتقف أمامه، زمجر بحنق

بكلمات اعتادت على استماعها:

- نصف ساعة وأنتِ تبكين على الأطلال، لا جديد منذ يوم زواجي بكِ المشئوم، لا فائدة منكن أنتن النساء حمقاوات

كانت تتألم من مسكته لذراعها والألم يتصاعد لروحها المُقيدة بدَين أبيها القديم، رددت بصوت متقطع من البكاء:

- جج...جبار اترك يدي رجاءً، أنت تؤلمني

صفعها بشدة وألقاها فوق الفراش باصقًا عليها متمتما بسبابات لاذعة، مزمجرًا بغضب:

- خمس دقائق وأجد الطعام جاهزًا، دقيقة أخرى تأخير وتحصلين على عقاب الليلة يا غبية

قام بالخروج من الغرفة بخطوات مشتعلة بنيران الكره، دفنت وجهها بالوسادة تكتم شهقاتها الصارخة ترجو من الله التحرر من قيد سُلسلت به...

ضربت بقبضتها فوق قلبها تردد بين ثنايا عقلها حديث والدها يوم أجبرها على الزواج من ابن صديقه لأجل دين من الأموال طوق رقبته وللخلاص من طوقه قدم ابنته الوحيدة قربانا يُنقذ به نفسه من السجن... عامان كاملان تشابهت بهما الليالي وأصبحت كل ليلة تحياها كاحلة كسماء روحه، سُلبت من حب حياتها لتصبح جارية «لدَين أبيها» أصبحت هنا أقل شأنًا من الأَمة تُهان صباحًا وتتلقى الصفعات، وليلًا تصبح عاهرته يفرغ بها شهواته...

هرولت للخارج على صراخه بِاسمها لتمسح دموعها وترتدي منامتها القطنية ذاهبة لتستقبل إهانات أخرى من فم القاسي ولا ضرر بالنسبة إليه أن تصيبها يده الخشنة بصفعات تؤلم نفسها قبل أن تشعر بألمها فوق جسدها.

شـهرًا أخـر قضتـه معذبـة تحصـل عـلى عقابهـا يوميًـا حتـى إذا لم تتحـدث تجنبًـا غضبـه ليخبرهـا أن صمتهـا تجاهـل لشـخصه فيُكيـل إليهـا الضربـات المبرحـة فتُفضـل فقـدان وعيهـا وهـروب عقلهـا من الألم الجسـدي لتحيـا للحظـات بعـالم مُظلـم قبـل أن يضـاء بملامـح حفظهـا القلـب غيبـاً حتـى بعـد عامـين مـن الابتعـاد... عامـان فقدتهـما مـن أعـوام عمرهـا الأربـع والعشريـن، عامـان أدركـت بهـما أنهـا لا تحيـا بـل تُعـاني... تُكفـر عـن ذنـب لم تقترفـه قـط...

تتحـرك بضعـف تجـر جسـدها الواهـن واضعـة فـوق وجنتيهـا مسـتحضرات تجميليـة تخفـى بهـا أثـار الكدمـات الدائمـة فـلا وقـت لتتـلاشى فأصبحـت كدمـات وجههـا متجـددة كالطاقـة الشمسـية تحصـل عليهـا يوميًـا، تركـت خصلاتهـا متحـررة كـما تتمنـى أن تكـون هـي يومًـا...

وضعـت المشروبـات فـوق الطاولـة وهـي ترسـم ابتسـامة زائفـة مرحبـة بخالتهـا وابنتهـا تحـاول رسـم سـعادة واهيـة تُطمـئن بهـا قلبيهـما عليهـا...

ربتـت خالتهـا هـدى بكفهـا عـلى الأريكـة جوارهـا، جلسـت لتسـتمع لتشـدق خالتهـا السـعيد غـير آبهـة بقلـب رنيـم النـازف:

- لا أصـدق يـا رنيـم سـيعود بـراء الأسـبوع القـادم، اشـتقت إليـه... بعـد أعـوام سـيعود أخـيرًا لأحضـاني

ارتفعـت خفقـات قلبهـا اشـتياقا كطبـول أعلنـت وقـت الحـرب تسـتمع لحـروف اسـمه المحفـورة بـأركان قلبهـا، صمتـت خالتهـا لثانيـةٍ ثـم تابعـت بسـعادة أُم تهتـف وهـي ترتـب حيـاة بـراء كصغـير مـا زال في سـنوات عمـره الأولى تختـار لـه والدتـه ملابسـه:

- لا أطيـق صـبرًا حتـى أزوجـه وأرى صغـاره يمرحـون حـولي... هـل أقـترح عليـه داليـا ابنـة عمتـه منـال أَم سـحر أبنـة خالتـك وفـاء ولكنـي لا أطيـق زوج خالتكـما هـذا

أكملت ثرثرتها مرددة بحزن وأحلامها لحياة ابنها تشيدها في خيالها:

- كم تمنيت لو تزوج فتاة مثل عبير ابنة صديقتي صابرين، جميلة كاِسمها وذات روحٍ مرحة ولكن الحلو لا يكتمل تطلقت من زوجها ومعها طفلة صغيرة، لن أدع ابني يتزوج مطلقة...

تلألأ الدمع بعينيها، تحاول إخفاءه وتأبى انصياعها لرغبتها بالبكاء ففضلت التماسك، فحتى إذا كان هنالك أملٌ بيومٍ ما وأدته خالتها كطفل لم ير الحياة، لاحظت سمر عينا رنيم الهاربة وعقلها الشارد فهمست بابتسامة هادئة تتصنع المرح عكس الحزن بداخلها على حال ابنة خالتها المتوفاة وتعلق قلبها بقلب أخيها الغائب:

- صحيح رنيم هل تذكرين هبة؟ تلك الفتاة من المرحلة الثانوية رأيتها تهرول خلف صغارها في المركز التجاري... تذكرين ما كانت تقول قديمًا: «مستقبلًا سأحضر مربية تعتني بالصغار» لو رأيتها اليوم لسقطتِ على الأرض ضحكًا

ابتسمت رنيم بهدوء فحديث سمر المفتعل للمرح أثقل قلبها حزنًا فكم كانت لهما أحلام لم تحقق وبراء كان أحد أحلامها هي...

***

بحديقة منزل خالتها الخلفية زُينت بالأنوار البراقة، تدلت المصابيح المضيئة فوق أغصان الأشجار، تراصت الموائد المستديرة بجوار بعضها وارتفعت الموسيقى الهادئة تعزف ألحانًا آسرة...

تحركت بخفة تقف بجوار سجانها الغاضب أتى لهنا بعدما دعته خالة زوجته وحتم عليه والده الذهاب لأجل الأعمال المشتركة بين العائلتين...

رمشت بعينيها قلقًا عدة مرات وخفقات قلبها تهدر خوفًا وألمًا من لقاءٍ محتمٍ ابتسمت لها سمر بهدوء حزين، تراها كحورية بفستانها الأزرق القاني مرصعًا بحبات اللؤلؤ اللامعة وعنقها مُزين بسلسالٍ لم تخلعه منذ سنوات اقتربت من أعوام عمرها هدية عيد

ميلادها العاشر، ما زلت تطوق عنقها للآن.

تعالت الهمسات حولها وعيناها تنظران محبوبها الوسيم يدلف من باب المنزل الخلفي بحلته السوداء ومشيته الرزينة، قلبها أعلن تمرده وتعالت دقاته وهي تتفحصه بعينيها؛ جسده العضلي لحيته السوداء الناعمة كلون شعره تمامًا وعينيه الرماديتين بنظرتهما القاسية، تخطى بداية عقده الرابع وما زالت ملامحه هادئة، فقط نظرة عينيه لها تغيرت عما كانت قديمًا فاختفت بهما نظرة المحبة وحلت نظرة غاضبة تصيبها بسهام خيبة الأمل...

اقترب من طاولتها هي وزوجها يرحب بهما بهدوء متماسك كبركان يحاول إخماد حممِه:

- مرحبًا جبار أنرت المنزل...

هز رأسه مرددًا التحية بملل، حادت عيناه يتفحصها مرددًا بنبرة لاذعة:

- مرحبًا رنيم عاش من رآكِ، لم تتغيري كثيرًا... بتغير الأعوام

قالها وهو يتطلع للقلادة بعنقها، لاحظت نظراته فبلا وعي ارتفعت يدها تمسك بقلادتها بين قبضتها ضاغطة عليها، توقفت شفتاها عن الحديث وقلبها يرتعش باشتياق خائن، اهتزت يدها الأخرى الممسكة بكوب العصير فسقطت فوق ملابس جبار... شهقت بخضة وهي ترى نظراته المشتعلة ولم تشعر إلا بصفعته المدوية فوق وجنتها جعلت شفتاها تدمي...

صاح جبار غاضبًا: ملابسي يا حمقاء ألا تجيدين فعل شيء... لا تستطيعين حتى حمل كوب! لا فائدة منكِ في الحياة

استمعت لشهقات الجميع المستنكرة، همسات وغمغمات تصلها ما بين متعجب وشامت وبعض حزين على حالها... امتلأت عيناها بدمعٍ حارق يكوي قلبها بنيران الخزي والخجل...

كـور بـراء قبضتـه ضاغطًـا عليهـا مزمجـرًا بجبـار بحـدة يمسـكه مـن تلابيـب ملابسـه: - مـاذا فعلـت أنـت! أهكـذا تعامـل زوجتـك

أردف جبار بلا مبالاة وهو يزيح يده:

- لا دخل لك، من أنت لتخبرني كيف أتعامل مع زوجتي

تشدق بغضب وهو يهدر بضيق:

- أنا ابن خالتها

حـرك كتفيـه قائـلًا بسـخرية وهـو يقبـض عـلى كفهـا يجذبهـا خلفـه بـلا اهتـمام بعثراتهـا المتكـررة:

- وأنا زوجها أحق منك بالتعامل معها

بغرفتهـا تكـورت كـما كانـت تفعـل دائمًـا رافعـة يداهـا أمـام وجههـا تحـاول تفـادي ضربـات حزامـه الجلـدي اللاسـعة وصرخاتهـا تمـلأ أرجـاء الغرفـة...

صرخ بغضب:

- أصممـتِ... هـل أنـتِ سـعيدة برؤيـة ابـن خالتـكِ الحبيـب... هـا أخبرينـي هـل أعـدتِ ذكريـات مراهقتـكِ معـه... تحـدثي

ظـل يـصرخ وهـو يكيـل إليهـا الضربـات القاسـية، تمـزق فسـتانها مـن قـوة الضربـة ممزقـة جلدهـا الأبيـض لينـدرج بـين الأحمـر القاتـم والبنفسـجي تحيـط بـه هالـة مـن اللـون الأزرق المنفـر وتتثانـر منـه قطرات الدمـاء... أختنقـت بشـهقاتها المتزايـدة وكاد أن يُعلـن قلبهـا عـن توقفـه لتغيـب في إغـماءة طويلـة كادت أن تـودي بحياتهـا...

صباحًـا جالـس فـوق الأريكـة يمسـك بيـده جهـاز التحكـم للتلفـاز واضعًـا سـاقا فـوق الأخـرى، التفـت وهـو يسـتمع لصـوت البـاب، تدلـف مـن الخـارج بخطـوات ضعيفـة وجسـدها انتـشر بـه الألم...

ردد صائحًا:

- أين كنتِ منذ الصباح؟

ابتلعت ريقها وأردفت بهدوء:

- بالمخفر

عقد حاجبيه قائلًا بسخرية وهو يقهقه بتهكم:

- ماذا كنتِ تفعلين هناك؟ تقدمين بلاغا ضدي!

اتسعت عيناه وهو يستمع لهمسها الجاد: - أجل هذا ما كنت أفعله جبار أقدم بلاغا ضدك وقضية خلع، لماذا توقفت عن الضحك الآن!!

وقف جاذباً رنيم من خصلاتها وهو يصفعها بشدة على وجهها:

- أعيدي ما قاله فمكِ الثرثار... هل تجرأتِ على أن تفعلي هذا!

دفعت يده وهي تصيح بحدة مماثلة:

- نعم نعم تجرأت... عامان أسدد دين أبي بزواجي منك سئمت الوضع، أخبرتني أمي قديمًا شيئا لم أفهمه إلا الآن... هناك من يجيد البكاء وهنالك من يستطيع التداوي وأنا قررت أن أتداوى... أعالج ذلك السقم، أنت كمرض خبيث يتغلغل بداخل روحي فيضعفها تصيب قلبي بالعلة قبل جسدي

صمتت تتنفس بغضب، تمالكت نفسها وهتفت بدهاء امرأة:

- أمامك حلان إما أن تطلقني الآن أو تنتظر انفصالنا عن طريق المحكمة ولكن تخيل اسم عائلتك وهو يُكتب في الجرائد وتنخفض أسهم شركاتكم بالبورصة

هتفت بها بنظرة ماكرة قوية تعجب جبار من وجودها بعدما كانت خادمته المغلوبة على أمرها، ازدرد لعابه وهو يتخيل ما سيفعله به والده فبعالم الأعمال البورصة هي المتحكمة، ليقول بكره يتخلل نبرته :

- أظن أنكِ ربحتي... أنتِ طالق رنيم، يمكنكِ إحضار المحامي لتوقيع الأوراق

أخرجت نفسا من بين رئتيها وهي تسقط أرضًا تدفن وجهها بين كفيها تبكي بفرحة لا تصدقها تظن أنها تحلم في أحد إغماءاتها التي تمنت بها أن تفيق وهي متحررة، حصلت على حريتها المسلوبة تحررت بعد عناء وحُلت من دَين قيدها بلهيبٍ حارق...

عيناها تتابع تلاطم الأمواج الهادئة وهي تتراقص عاد جزء من روحها القديمة قبل ثلاثة أشهر كانت نقطة التحول كبحر لجّي ثارت أمواجه أعلنت رفضها لانتهاك قلبها وهدأت بعدما استردت روحها...

ثلاثة أشهر مرت وهي تقف كل يومٍ منهم تتنفس بحرية أمام المياه تغمض عينيها تمحو ماضٍ أرهقها لتحتفظ بماضٍ أحيا قلبها من جديد... تسعون يومًا وعيناها تراقب البحر لتراقبها هي عينان كانتا قاسيتين قبل أن تعلم بتضحية قتلتها...

اقترب براء منها يتفحصها بعينيه متذكرًا حديثها بعدما أتت لمنزل خالتها متكدمة الوجه والجسد خطت بقدماها أول خطواتها لتسقط بين يديه غائبة عن الوعي وسقط قلبه معها شعر بروحه تهوي خلفها وهي بين أحضانه ساكنة...

هدر براء غاضبًا بعدما أفاقت:

- هل زوجكِ المصون هو من فعل بكِ هذا!

أخفضت رأسها تردد بصوت متألم:

- كان زوجي الآن أصبح زوجي السابق

شهقت خالتها وهي تلطم فوق صدرها بينما سمر ابتسمت بسعادة فالأمل تجدد بين قلبين...

اقترب ممسكًا ساعدها بحدة صائحًا بشرارة الغيرة المشتعلة بقلبه:

- وأنتِ متألمة لأنه أصبح زوجكِ السابق؟ هل يؤلمك قلبك لذلك الحد فتخرج كلماتك ترثيه؟

صرخت بقهر وحروف هستيرية خرجت من بين ثغرها الوردي:

- بـل أرثي روحـي المقهـورة وجعًـا وكمـدًا، أرثي جسـدي المتـألم بنـيران الكـره المحفـورة عليـه، أرثي نفـسي عـلى كـره جنيتـه منـك بعدمـا قُدمـت قربانًـا مقابـل أمـوال أخذهـا والـدي مـن صديقـه ليجعلنـي في يـوم زوجـة ابـن هـذا الصديـق... وأخـيرًا حبيـب سـافر لسـنوات تـرك قلبـي الشـاب حزينًـا إلى أن أصبـح مـن شـدة الحـزن كهـلًا لا حيـاة لـه...

ظلـت تبـكي ألمًـا عـلى حيـاة خسرتهـا، عـلى أحـكام تُطلـق كأسـواط تسـقط فـوق الأجسـاد العاريـة تؤلمهـا وتـترك علاماتهـا تذكـرك بأنـك كنـت يومًـا مكشـوفًا...

تذكـر بكاءهـا وهـي تخبره بمـا مـر عليهـا، ضحـت بحبهـا لتغيـث أباهـا بعدمـا هـدد بأذيتـه في شركتـه الصغـيرة، كانـت قربانـا قُـدم لحمايـة مالـك قلبهـا...

أمسك براء بيدها هامسًا بنبرة عاشقة:

- تبقى فقط الغد يا رنيم

عقدت حاجبها بتعجب ليردف بسعادة:

- غدًا ستنتهي عدتكِ وأعقد قراني عليكِ بعد غد

مطت شفتيها هاتفة بيأس:

- لكـن خالتـي لـن تقبـل فأنـا مطلقـة... عليـك أن تتـزوج فتـاة لم يسـبق لهـا الـزواج ليـس لـك ذنـب بـأن تتـزوج بي فقـد أخـذت فرصتـي بالحيـاة

ضغط على كفيها مرددًا بجدية وإصرار:

- أولًا تحدثـت مـع أمـي ولم تعـترض ... ثانيًـا مـن قـال بأنـكِ أخـذتِ فرصتـك، لـكل منـا فرصـة جديـدة ليحيـا تنتهـي الفـرص بتوقـف أنفاسـنا لا بفشـل إحداهـم

ابتسـمت لـه بسـعادة ليشـاركها سـعادتها ويهتـف بابتسـامته التـي تـأسر فؤادهـا:

- أحبك يا رنيمي الصغيرة

سقطت دمعة من عيناها لتهتف بتأثر:

- أحبك براء أحبك يا فُرصي القادمة بالحياة...

يـدان أخفتهـا بداخـل أحضانـه تخبرهـا بأنهـا بمأمنهـا شـعرت بـأن الحيـاة تُطمئنهـا بعدمـا كانـت تهـرع كطفلـة يتيمـة أُلقيـت بالشـوارع تركلهـا أقـدام المـارة...

بالـون كلـما امتـلأ بالهـواء زاد حجمـه حتـى وصـل لمرحلـة الأنفجـار وانفجارهـا كان بلحظـة الخـزي، تحملـت إهانتـه لسـنوات فأعلنـت نفسـها العصيـان تمـردت عـلى سـجان صنـع لهـا قضبـان حديديـة وأغلـق الأبـواب فظلـت مأسـورة بداخـل خوفهـا واكتشـفت بعـد عامـين أنـه كان بـين يديهـا مفتـاح حريتهـا... جملـة تـرددت عـلى مسـامعها «هنـاك مـن يجيـد البـكاء وهنالـك مـن يسـتطيع التـداوي» وهـي بكـت كثـيرًا وقـد حـان وقـت الشـفاء... أشرقـت الشـمس بداخـل قلبهـا تخللـت حياتهـا شـعاع ضـوء بعدمـا كادت أن تُفنـي عمرهـا بالظـلام...

تمت بحمدالله

أمينة عزت

6- ذات يوم

الفصل الأول

إنه اليوم السابع لي هنا في تلك الشقة المظلمة المطلية باللون الرمادي، والتي تحوي بعض النقوش الذهبية، أضواؤها الخافتة التي لطالما أصابتني بالإعياء لإكسابها الظلمة على جدران ذلك المنزل؛ الذي يحتضن أحزانا وانتكاسات وذكريات قاتلة، لسيدة مسنة لطالما كان كرسيها المتحرك موضوعا في زاوية صالون ذلك المنزل، وأمام شرفة مطلة على المارة في الطرقات، تجلس وهي تراقب المارين بنظراتها، جفون عينيها لا ترمشان أبدا، كلما جلست أمام تلك الشرفة، تجعلك تتساءل: يا ترى هل هي تستعيد ذكرياتها؟ لكن كيف أنه لا ذكرى توقظها وتعيدها إلى الحياة مرة أخرى وتغمض عينيها لوهلة؟ أم أنها تذهب في رحلة إلى الدار الآخرة؟ أم أنها تتنبأ بمصيرها المترتب على تذكرها لتلك الأخطاء التي قد ارتكبتها في سن شبابها؟ أتتذكر حبيبا هي؟ أم فقد ابن؟ تجعلك تتعجب لصمودها، يا لقوة تلك السيدة، يا لصلابة عينيها، وجهها الذي قد اختفت منه الابتسامة، وغيمة الحزن تلك التي قد خيمت على

ملامح وجهها، خطوط الخيبات والأحزان وويلات الدهر التي قد رسمها الزمن باحترافية على تقاسيم وجهها، وتلك البشرة البيضاء ولكن بياضها قاتم من تلك الأحزان التي تثور في داخلها، براكين محبة تنضب في قلبها، لا تستطيع أن ترى أي حب أو أي رحمة على وجه تلك السيدة، أتنتظر الموت هي؟

تلـك التسـاؤلات العـدة أصابتنـي يومـا حيـث كنـت دائمـا أرى تلـك السـيده مـن نافـذة حجـرتي أشـهرا...لا، بـل سـنة بـل وسـنوات، لا بـل منـذ أن بـدأت ذاكـرتي عـلى التشـكل وأنـا أرى تلـك السـيدة، أخبرتنـي أمـي ذات يـوم أن لا أقـترب أبـدا منهـا؛ حـين أخبرتهـا أننـي أود زيارتهـا، لأقـدم لهـا طعامـا، رفضـت بشـدة، وأمرتنـي بـألا أفعـل، تلـك العجـوز المسـنة شريـرة للغايـة، هـي لا تحـب الأطفـال، والنـاس يتحدثـون بترهـات أنهـا قـد ذبحـت وليدهـا الصغـير يومـا، إذا زرتهـا سـوف تقتلنـي، وهـا أنـا اليـوم قـد كـبرت ولم أعـد طفلـة ولكـن لم تغـب تلـك العجـوز عـن لبـي قـط، حتـى وإن رحلـت شـهورا وسـنوات لدراسـتي خـارج البلـدة، إلا أن عقـلي لم يكـف عـن التفكـير بهـا، ومـا إن أعـود إلى منزلنـا حتـى أهـرول إلى تلـك النافـذة، لأجدهـا جالسـة أمـام شرفـة شـقتها كـما هـي. فطـرتي وفضولهـا القاتـل وإلحاحهـما عـلي بـأن أذهـب إليهـا وأسـتمع إلى حديثهـا، وسـبب شرود ذهنهـا الغـير معقـول ذلـك لفـترات غـير معقولـة أيضـا يقتلنـي، أكاد أجـزم أننـي سـأُصاب بالجنـون إن لم أكـن قـد أصبـت بالفعـل...

عـادت والـدتي إلى المنـزل بعـد إنهائهـا فـترات عملهـا الرسـمية، انفرجـت أسـاريرها حـين رأتنـي قـد عـدت مـن إنجلـترا؛ بعـد إنهـائي مرحلـة دراسـتي الجامعيـة، ولكنهـا غضبـت وقطبـت حاجبيهـا -عندمـا رأتنـي أقـف هنالـك أمـام نافـذة حجـرتي، ناصبـة نظـري عـلى السـيدة العجـوز- متسـائلة:

- بنيتـي، ألم تنتهـي بعـد مـن النظـر إلى تلـك العجـوز؟ إلى متـى سـتظلين هكذا؟

- وإلى متـى سـتظل هـي يـا أمـي هكـذا؟ يـكاد رأسي ينفجـر مـن فعـل تلـك السـيدة، إنهـا لا تـأكل، لا تذهـب إلى أي مـكان، لا تتنـاول مشروبـا قـط، وهـي في تلـك السـن كيييـف؟ كيـف تسـتطيع التحمـل؟ مـا قصتهـا... أي سر تخفيـه؟

- بنيتـي، كفـى حديثـا عـن تلـك السـيدة الآن، كفّـي عـن مراقبتهـا في

تلـك الأوقـات القليلـة التـي تقضينهـا معنـا في المنـزل، لا تلقـي لهـا بـالا صغـيرتي.

- ليـس باسـتطاعتي أن أكـف عـن التحملـق بهـا، ومراقبتهـا والتفكـير بهـا يـا والـدتي، فلتعذرينـي...

- وعـد، أنـت الآن فتـاة جميلـة ومثقفـة وشـابة، يجـب عليـك الانتبـاه إلى مسـتقبلك، وانشـغالك بالعمـل والتخطيـط للـزواج...

ثم بنبرة صوت تعالت فجأة

- وأن تكفي عن مراقبة تلك العجوز...

- ثم تركت الحجرة بعد أن ركلت تلك البالونة الملقاة على الأرض بقدمها غير مكترثة لما يكون ذلك الشيء الذي تركله، وأغلقت الباب في حدة خلفها. ذُهلت من تصرف والدتي وذعرها الشديد، وما هي إلا ثوان معدودة حتى عدت مرة أخرى إلى مراقبة عيني تلك السيدة، والنظر إلى يديها الممسكتان بذلك الكرسي واللتان نال منهما السكون أيضا.

- يا الله هل هي لا تستطيع حراكا؟ هل لديها شلل كلي؟، لا لا كيف لها إذن أن تضغط على زر ذلك الكرسي لتذهب به إلى تلك الحجرة من منزلها في منتصف الليل؟ ماذا دهاك أيتها العجوز؟

أوه لا...لماذا أنا أفكر بها كثيرا مثلما قالت أمي؟ هل هي عادتي الطفولية أم أنني مازلت مصرة على معرفة ما حال تلك السيدة؟

- صوت والدتي يأتي من خارج الحجرة وعد، هيا تعالي إلى هنا لتتناولي الغداء...

- حسنا يا أمي إنني قادمة.

- سأعود إليك أيتها السيدة عاجلا لن أتأخر...

-علي أن أبدل تلك الثياب أولا، وأرتدي ملابس أخرى، فالجو معتدل للغاية؛ حيث أننا في فصل الربيع.

لا أعلم لماذا حينما أغضب أبدو كالشياطين...

الفصل الثاني

استيقظت وأنا قاطعة أمر الذهاب إلى تلك السيدة، نهضت عن ذلك السرير بتثاقل، فإذا بهاتفي يصدر صوت الاتصال من أحدهم، نظرت إليه وخطوت نحوه خطوتين، أمسكت به، تطلعت بشاشته فإذا برقم ليس معروفا بالنسبة إلي أو مدونا ضمن قائمة الأسماء وأرقام الهواتف الموجودة على هاتفي، ضغطت على زر الإجابة ثم وضعت الهاتف على أذني، سوف أتحدث في حزم، ولكن ظهر صوت قطع علي حديثي ذلك:

-الأنسة وعد؟

أجبت في نبرة صوت هادئة وذهول من معرفة ذلك الرجل اسمي:

-نعم أنا...

- أنا مسؤول التوظيف لدى شركة العامرية..

-هدأ روعي حين سمعت ذلك، وقمت بإجابته:

-أهلا بحضرتك.

- كنت أود أن أخبرك أنه قد تم قبولك في الوظيفة لدى شركتنا التي قد أجريتِ مقابلة بشأنها البارحة.

-تهلل وجهي كثيرا، لا أخفي أنني كنت أتطلع كثيرا إلى العمل في ذلك المكان؛ لشهرته وذيع صيته، إضافةً إلى أنه سيمكنني من اكتساب المزيد من الخبرة وجني الكثير من الأموال؛ كي أقوم بشراء سيارة، لطالما كانت تلك السيارة كل حلمي من فكرة العمل.

- أشكرك كثيرا على تلك الأخبار السعيدة.

-يجب عليك أن تكوني هنا غدا في الساعة التاسعة صباحا دون تأخير.

- حسنا.

- أغلقت الهاتف وقمت بالدوران في حجرتي في فرحة شديدة، وقمت بمناداة والديَّ وأنا أردد حققت أول شيء بعد تخرجي...

- أتت والدتي مهرولة وهي تقوم بفتح باب حجرتي قائلة:

- ماذا هناك يا وعد؟

- أمسكت بكلا ذراعي والدتي وقمت بلفها معي، وأنا أنظر إلى وجهها وتلك السعادة تغمر جل وجهي:

- قُبلت في وظيفة لدى الشركة التي أخبرتك عنها يا أمي، تلك التي كنت أود أن أعمل بها كي أجمع مالا لأشتري سيارة من مالي الخاص، أتذكرين؟

- إتسعت حدقتا عيني والدتي في فرحة، وتهلل وجهها:

- أووه مبارك لكِ يا وعد، يا لها من أنباء سعيدة تستحق أن نقيم احتفالا بشأنها.

- كما تشائين يا أمي.

لم أعد أتذكر في تلك الأثناء أمر الذهاب إلى تلك السيدة العجوز، حيث شغلتني سعادتي...

- سأذهب وأقوم بعمل تحضيرات الحفل، أنت اذهبي كي تهندمي ذاتك، ولهتمي بشؤونك، اتفقنا؟

- حسنا يا أمي.

في الساعة الثالثة ظهرا، تعالى صوت إنذار شقتنا المتواضعة، ليتعالى معه صوت والدتي، خرجت إليها مهرولة؛ وجدت أن هناك شابا يرتدي قبعة حمراء وقميصا أحمر، ذو بشرة سمراء متوسط الطول.

- ما بكِ يا أمي؟

- اذهب، لا أريد أن أتسلم تلك الازهار، هيا اذهب بها.

- ليس من شأني أيتها السيدة، علي أن أسلمك إياها فقط لا أن أعود بها، هيا قومي باستلامها وتوقيع عقد التوصيل من فضلك.

- حسنا أنا سآخذها شكرا لك، من من تلك؟

- كيف لك أن تأخذينها وأنا لا أريدها يا وعد؟

- لماذا يا أمي؟ فقط هي من جارة لنا، تبارك لي على شغلي لتلك الوظيفة، نعم هي لم تكتب اسمها لكنها أمضت بمسمى جارتكم، تلك الكلمة تكفي لقبولها يا والدتي.

- زفرت والدتي في قوة، ثم هزت رأسها وتركتني مغادرة إياي، لا أعلم لماذا قمت بقبول تلك الزهور، ولم يكن صدقا ذلك السبب الذي أخبرت والدتي أني قبلت لأجله تلك الورود، صدقا لا أدري...

عادت والدتي إلى الإعداد والتجهيزات مرة أخرى، هاتفت بعض صديقاتي كي أدعهن لحضور حفلتي، عدت مرة أخرى وتذكرت تلك السيدة، صوت ساعة حائطنا قد ارتفع، أعلم أنه لم يمض الكثير من الوقت، وأنها الآن الساعة الرابعة تقريبا، خرجت لأنظر إليها...وجدت أن الساعة تشير إلى السابعة، كيف ذلك؟ تأخرت كثيرا أنا أم أن الوقت يمضي سريعا، أم أن ساعة حائطنا لم تعد تعمل بشكل جيد؟ لم أفتش عن ساعة أخرى كي أبحث فيها عن التوقيت الصحيح الآن، ولكنني عدت كي أستعد، في لحظة ما توقف قلبي وأنا أرتدي إسورة في يدي، وكأن الزمان والمكان قد توقفا، أيضا شيء ما يحدث لكنني لا أدري ما هو...

- هيا يا وعد، لقد حضرت رفيقاتك..

- حسنا يا أمي إنني قادمة، أوه نسيت أن ألقي نظرة على تلك العجوز المسنة، حسنا، ولكن أين هي؟ أين ذهبت؟ لماذا لا أراها؟

- هيا يا وعد.

- حسنا حسنا يا أمي ها أنا ذا.

- خرجت وصافحت صديقاتي، وزاد الصخب في شقتنا، لكنني مع كل ذلك كنت منشغلة بتلك السيدة، كرسيها المتحرك، لاا إنه موضوع

أمـام تلـك النافـذة، إنهـا تسـير؟ لا لا هـي لا تسـتطيع حـراكا، لا أسـتطيع الانتظـار أكـثر سـأذهب إليهـا الآن.

- وعد إلى أين أنت ذاهبة؟ وعد انتظري إلى أين تذهبين؟

- سـارت والـدتي خلفـي وهـي هائمـة عـلى وجههـا، حتـى دلفنـا إلى تلـك العـمارة المقابلـة لنـا، وصعدنـا إلى شـقة تلـك السـيدة وأخـذت أدق إنـذار شـقتها في سرعـة، لم تنتبـه والـدتي إلي، إنهـا تقـف هنالـك أمـام بـاب تلـك الشـقة، هـي منشـغلة بصرخاتهـا التـي تعالـت مسـائلة إيـاي مـا بـكِ يـا وعـد؟ وأنـا لا أجيبهـا، لم أنتبـه وقـد أتى كل مـن في الحفـل خلفـي، ثـم ظهـر صـوت أحدهـم:

- تنحي جانبا بنيتي؛ كي أتمكن من كسر ذلك الباب.

- تنحيـت جانبـا وأخـذ والـدي يـزج بـاب تلـك الشـقة، ثـم أتى مـن خلفـه يسـاعدونه عـلى خـرق ذلـك البـاب، هرولـت بحثًـا عـن تلـك السـيدة في أرجـاء شـقتها وأنـا أصرخ

- أيتهـا العجـوز، أيـن أنـت؟ ولكـن الجميـع لم يتحركـوا إلى الداخـل، لقـد اكتفـوا فقـط بالنظـر تجـاه ذلـك الكـرسي المتحـرك، سـوى والـدتي التـي دلفـت خلفـي وأخـذت تحدثنـي بأنـه يجـب علينـا أن نخـرج الآن مـن هنـا، وإلا سـنتورط في مشـكلة لا حـل لهـا سـوى المـوت، ثـم تعـود مهـددة إيـاي وأحيانـا أخـرى تتوسـلني، عـدت لراقـب ذلـك الكـرسي، وجـدت تلـك السـيدة ملقـاة بجانبـه، ذهبـت كي أرى مـا حـدث لهـا ولكنهـا كانـت قـد فارقـت الحيـاة، في اليـوم التـالي عـدت أفتـش في شـقتها علنـي أصـل إلى إجابـة عـن تسـاؤلات في داخـلي، ممزوجـة بنـدم عـلى ضيـاع الوقـت دون أن أقابـل تلـك السـيدة، وأصـل منهـا إلى إجابـة، وجـدت مدونـة وحيـدة في رف أخـذت أزيـل عنهـا الغبـار وفتحتهـا، وأخـذت أقـرأ مـا خـط بهـا:

ذات يوم قابلته...

ذات يوم أحببت أحدهم...

ذات يوم كان لي حبيب...
وذات يوم أنجبت منه طفلة تدعى رباب...
- توقفت للحظة أوه إنه كاسم والدتي، ثم أردفت أقرأ،
ذات يوم طلعت شمس فراقنا...
ذات يوم أشرقت الشمس، ولم يكن هنا...
ذات يوم قتلني فراقه...

ذات يوم تسارعت دقات قلبي من فراقه، والتي لم تتوقف إلا بموتي وأنا على قيد الحياة، حيث لم نتزوج بعد وسأواجه مجتمعي وحدي...

ذات يوم كنت أقول سأرحل عن هنا، واليوم أنا قد رحلت لتوي عن هنا بالفعل، لا أدري أصدمة هي أم فرحة أم موقف لا أدري ماذا أفعل به، لا أدري إذا كنت أنا الضحية أم الجاني...

ذات يوم رأيت نفسي في المرآة لأول مرة، وتلك كانت أول مرة أرى فيها حقيقة ذاتي.

لا أدري أمحظوظة أنا أم تعيسة الحظ؟ أتعلمون أنني قد رأيت الموت؟ نعم، وحدثني أيضا، الموت يتحدث يا للعجب العجاب، إنها أول مرة يتحدث لبشر...

وفي ذات اليوم قد عدت أنا إلى الحياة مجددا، فقد كان حلما، ماذا ترون؟ هل كنت أود العودة أم البقاء هناك؟ غادرتني ابنتي حين كبرت، ولكنني استأجرت شقة مقابلة لمسكنها، ودفعت فيها كل ما أملك مقابلا لذلك وادعيت أنني مشلولة كي تحن وتسامحني، ولكن كل ذلك دون جدوى، فاكتفيت فقط بالنظر إلى وجهها ومراقبتها حين تخرج، وانتظرها إلى أن تعود كي أطمئن عليها، نقطة ومن بداية السطر، لم تكن تلك الكلمات بخط يدي فقط بل بمدامع قلبي، قد وضعتها وسط باقة ورود ندية أهديها إليك.

في نظر بنيتي أنا فتاة ليل.

صـوت بـكاء والـدتي وقـد جثـت عـلى ركبتيهـا يـأتي مـن خلفـي، هرولـت إليهـا فاسـتمعت بصعوبـة لهـا بينـما هـي تقـول:

- آسـفة أماه...لقـد ظلمتـك كثـيرا، أنـت لسـت فتـاة ليـل، بـل أنـت قلبـي، ليتـك تعوديـن.

عفاف محمد عبد السلام

7- انتحار علني

يقولـون إن الانتحـار خطيئـة لا تغتفـر، لكنهـم يدفعونهـا دفعـا إليـه! لم يكـن انتحارهـا بالـدم! بـل بالـروح، روح ألقـت بهـا في الهاويـة فاحترقـت! انتحـار كان اختيـارا تعلنـه أمـام الجميـع، تقيـد بـه روحهـا وينتهـك بـه جسـدها.

تنهيدة راحة

وقفـت تراقبـه بابتسـامة دامعـة! كيـف تلتحـم البسـمة بالدمـع؟ مزيـج غريـب معقـد لكنـه صـادق، أصـدق مشـاعرنا تكـون حـين نبتسـم بينـما نبـكي! اتسـعت ابتسـامتها أكـثر وزادت قطـرات دموعهـا تغطـي وجنتيهـا وهـي تفكـر أن هـذه المـرة تختلـف مشـاعرها! ليـس ككل مـرة تقاطـع الدمـوع ابتسـامتها وشـعور المـرارة يخالطهـا، والألم يغـزو قلبهـا! الآن عوضـا عـن المـرارة ازدهـر قلبهـا، واسـتحال الألم فخـرا وسـعادة لا مثيـل لهـا، وكيف لا وهـي تـرى إنجازهـا الأكـبر، غنيمتهـا التـي اكتسـبتها عنـوة مـن فـم الحيـاة! نصرهـا الـذي طـال انتظـاره، تنظـر لـه بحـب، تدقـق في تفاصيلـه؛ عينيـه اللامعـة ببريـق آسر، ضحكتـه الخشـنة وحديثـه اللبـق مـع أصدقائـه، لحيتـه المهذبـة، رداءه الأسـود الـذي يليـق بـه كثـيرا، عـاد نظرهـا لعينيـه تقـرأ مـا بهـما كعادتهـا، فوجـدت نظـرة ضائعـة، يـدور بعينيـه في المـكان حولـه فابتسـمت بحنـان وهـي تـدرك أنـه يبحـث عنهـا، وحـين لمحهـا هـو، اتسـعت ابتسـامته فأثلجـت قلبهـا العليـل، أومـأت برأسـها برفـق كأنهـا تخـبره أنهـا معـه، فالتمعـت عينـاه بالدمـوع! دمـوع أخبرتهـا بـكل مـا يعتمـل داخلـه الآن، تأملتـه بقلـب تتراقـص دقاتـه فرحًـا بينـما أشـاح هـو بنظـره ملتفتـا لحديـث صديقـه، تنهيـدة راحـة خرجـت منهـا بينـما تزيـح

دموعها بكفيها قائلة في نفسها: لقد كان يستحق! ما تراه الآن يستحق أن تقتل نفسها لتحيا معه وبه من جديد! شردت وهي تتذكر كل ما مر بها حتى وصلت لتلك اللحظة التي لطالما حلمت بها.

انتحار علني!

هذه الجملة التي ظلت ترددها طيلة تلك الليلة السوداء؛ التي لولاها لما أشرق نهارها اليوم!

تزف لعريسها سعيد الحظ! مبتسم الوجه بسماجة، ينظر لها نظرات جائعة، شهوانية خالية من الحب، ابتسمت بسخرية أي حب؟ هل يليق بها الحب، لكن هي لا تريد الحب، فقط لو بعض الحنان منه سيكفيها! أمسك كفها بخشونة واقترب منها قائلا: مبارك يا عروس.

زادت نبضات قلبها هلعا واختنقت أنفاسها وهي تشعر بأنفاسه الكريهة مختلطة برائحة الكحول! فاغتصبت ابتسامة من بين دموعها التي يظن أنها بسبب خوفها كعروس! وينتشي مزاجه المخمور لخوفها ذاك وارتجاف كفيها بين يديه.

بينما هي تكاد تصرخ بصوت عالٍ أن «كفى! أستحلفكم بالله كفى» قالتها بقلبها ولم تنطق بها! تستمع لأحاديثهم وتحاول جاهدة أن تقاوم ارتجاف يديها التي تريد وبشدة وضعها على أذنيها لعلها تصم عن تلك الأسهم المسمومة التي يرمقونها بها! من هم؟ الناس! فقط ودائما «حديث الناس» تسمع جارتهم العجوز تخبر زوجة ابنها قائلة بحسرة زائفة: لا أعلم، كيف تفعل فتاة شابة ذلك بنفسها! تتزوج برجل بعمر أبيها؟ أيائسة هي لتلك الدرجة لترمي بنفسها أمام هذا الرجل؟

فتجيب كنتها قائلة بفضول: لو كان غنيا لقلت إنها تزوجته لماله؟ تراها تخفي شيئا بهذا الزواج من رجل عجوز لن يدرك فعلتها؟

بكى قلبها بقهر لحديثهما، تمنت لو تصرخ بهما قائلة: بل تزوجت

لأني بلغت الثلاثين من عمري، فاتني القطار كما تقول أمي مشفقة، وكما يقول أبي متحسرا! وكما يقول أخي، أصبحت عبئا كبيرا عليهم! تزوجته هربا من جحيم أعيشه بينكم، تزوجته كي لا أكون عانسا تتآكلها الألسنة وتصيب قلبها بجروح غائرة لا يمكن الشفاء منها! تزوجت لأستريح من نار ألسنتكم وها هي الحقيقة تصفعني بقوة فأسقط بوهن معلنة استسلامي، ألم يكفيكم! ما زلتم تتحدثون، بل تطعنونني في شرفي! «يكفي» صرخت بها بقلب مكلوم، لم تستطع الصمود وهي تستمع لتلك الهمزات من حولها، «كفى» قالتها وهي ترى نظرة أمها المشفقة وأبيها قليل الحيلة، «كفى» صرخت بها مرة أخرى وهي ترى وجه شقيقها الغاضب الذي يخشى ألا يتم زفافها الآن ويتركها عريسها! «توقفوا» صرختها الأخيرة التي صاحبها دوار عنيف وهي تنظر لعريسها، زوجها السعيد بصيد مثلها! وكيف لا يكون سعيدا وهو ينال زوجة بعمر ابنته والأهم بكرًا لم يمسها أحد قبله.

سقطت مغشيا عليها وآخر ما سمعته قول شقيقها لزوجها: تعلم يا عثمان خجل البنات، وذعرهن من الزواج، فضحك الآخر غير مبالٍ ولم يقل شيئا..

وها هي تقف أمامه في بيته، ترتعش خوفا، لكن لديها أمل، مجرد أمل طفيف أن يكون متفهما، حنونا، يتعامل معها برحمة ولين تحتاجهما هي الآن كثيرا! لكن خيب أملها سريعا حين طلب منها بجفاف! لا ليس بجفاف بل بشهوة وطمع أن تقترب منه!

كادت أن تتحدث تقول إنها خائفة، جسدها يرتجف، أنفاسها تتسارع وكأنها في سباق تعلم أنها الخاسرة الوحيدة فيه! صرخت بعنف وهي ترجاه أن يتوقف! لكنه لم يهتم..

أفرغ شهوته وتنهد براحة نائما! أما عنها فقامت تقاوم ارتجافها، تقف تحت اندفاع المياه الساخنة بل الحارقة لكنها لا تشعر بها وهي

تفـرك جسـدها بقـوة، ملامحهـا جامـدة كأنهـا بـلا روح لكـن جسـدها الـذي يرتجـف بقـوة يخـبرك أن هنـاك روحـا تعـاني.

أنهـت حمامهـا لكنهـا لم تقـوى عـلى الخـروج، لهـذا جلسـت عـلى الأرض البـاردة تضـم جسـدها إليهـا، تحتضـن نفسـها وتـترك العنـان لدموعهـا.

فكـرت بالانتحـار، لكنهـا ضحكـت بهذيـان قائلـة: ألم أنتحـر فعـلا! لقـد نحـرت قلبـي وحيـاتي! ألم أنتحـر برغبـة أهـلي، انتحـار شـهد عليـه كل الناس.

لكنهـا الآن لا تلـوم أحـدا، هـي مـن اختـارت، كان يمكنهـا أن تمكـث مـع عائلتهـا مهـما فعلـوا بهـا كانـت لتصـبر خـيرا لهـا مـما ألقـت نفسـها فيـه.

كان خيارهـا للتخلـص مـن لقـب عانـس الـذي لاحـق اسـمها «ابتسـام العانـس» عـادت ضحكتهـا تـزداد وهـي تهـز بدنهـا وتحركـه للأمـام والخلف وهـي تـردد مـن بـين ضحكاتهـا لم أعـد عانسـا، لا أحتـاج لشـفقة أحـد، سـيخف الحمـل عـن أبي الآن سـتطمئن أمـي عـليّ مـع رجـل أفضـل مـن لا شيء! ظلـت تهـذي بينـما تحتضـن نفسـها كأنهـا تربـت عـلى روحهـا المنهكـة والمنتهكـة.

يسر بعد عسر

مرت الأيام واعتادت على وضعها، أصبحت ملامحها جامدة لا تنفعل، لا تغضب، لا تبتسم لا تبكي، صارت كآلة كما هي وظيفتها، آلة يفرغ زوجها شهوته فيها، آلة تستجيب لنصائح زوجة أخيها بالصبر وتحمل زوجها السكير! آلة تمتص شفقة أمها التي لا تمحى من عينيها، آلة لا تهتم بنظرة الندم والذنب بأعين أبيها، تظن أنها أصبحت خاوية بلا روح! لكن حين يأتي الليل وتخرج الروح الحبيسة تستجيب لها، تترك العنان لدموع قلبها تصرخ صرخات مكتومة، تفرك جسدها بحدة، وبعد أن تفرغ ما بداخلها تعود لوجهتها الباردة، وكأن هذا ما يعينها لتحيا!

إلى أن أتى هـو، نـور مـن اللـه ربـط بـه عـلى قلبهـا برحمتـه الواسـعة، هـي حامـل!

دق قلبها بعنف وبكت عينيها وقالت ببطء وكأنها تتذوق حروف جملتها: سأكون أما! سيكون لديّ ابن! سأصبح أما في الأربعين من عمري؟ قالتها بتساؤل، بفرحة، بدموع، بأمل، وأشفقت عليها الطبيبة وهي تؤكد لها أنها حامل وعمر جنينها ثلاثة أشهر! وها هي تذهب لمنزلها تخبره! بالنهاية هو زوجها ووالد طفلها ستنسى كل شيء لأجله.

لكنها ما إن وصلت صدمت به على الأرض يلفظ أنفاسه الأخيرة، فنظرت له بجزع قائلة: مات!

عادت ملامحها للجمود وهي تراقب تجهم وجه شقيقها ونظرات أبيها القلقة!

اسمعي ستأتين معي وتتركين هذه الشقة، لا يصح العيش لوحدك بعد الآن وعليك أن تتخلصي من جنينك هذا، فمن سيرضى بأرملة بطفل! قالها شقيقها ببرود

وهنا ذهب برودها أدراج الرياح، ووقفت صارخة: توقف وإياك بالحديث عن ابني! هذا طفلي، أتريد أن أقتل روحا! بل روحين؟؟ روحه وروحي معه.

«وماذا تفعلين به؟ أنا لن أتحمل مصاريف طفلك يكفينا أنتِ» قالها وهو ينظر لها بغضب فبعد أن ظن أنه تخلص من حملها تعود مرة أخرى!

سقطت دموعها لكنها مسحتها بعنف وهي تنظر لوالدها قائلة: أليس لديك ما تقوله؟

كاد أبوها أن يتحدث لكنها قاطعته بحدة قائلة: أنا لدي ما أقوله! ابني سأنجبه، سأحميه بروحي ودمي، سأربيه تربية عجز أبوك عن تربيتها لك! قالتها مشيرة لأبيها ثم لشقيقها الذي لم يفاجئها كثيرا وهو يلطم وجنتها.

فقالت ببرود: غادروا!

نظروا لها نظرات تتراوح بين ندم وغضب!

لكنها كررت بصراخ: ارحلوا هذا منزلي الآن، سأربي فيه طفلي، سأراه يكبر أمام عيني ولن أحتاج أحدا منكم، لن أحتاج أحدا!

نظر أخوها لها باستهانة لكنها قابلت نظرته البغيضة بأخرى متحدية وهي تردد قائلة: حسبي الله ونعم الوكيل!

فغادر غاضبا!

أغلقت باب منزلها وكادت تبكي لكنها لم تفعل، وكيف تفعل وهي تشعر بنبضات طفلها لأول مرة! شعور أنساها كل شيء وذكرها فقط بطفلها ومستقبله، وهي تدعو الله سرا أن يكون ولدا فلن تتحمل أن تكون فتاة! لو كانت فتاة ستدمر حياتها وتتعذب أكثر من عذابها هي؛ ستكون ابنة أرملة تعيش وحدها! عبست بقهر لكنها عادت تبتسم، أمل بداخلها يخبرها أنه فتى، سيكون لها كل الرجال.

زاد شعورها بنبضه فابتسمت باتساع وهي تطمئنه قائلة: الله معنا، سينصرنا!

وها هي اليوم ترى ثمرة صبرها! يقف بشموخ بين أصدقائه برداء تخرجه الأسود من كلية الهندسة التي تمناها هو، وسعت هي لتوفر له ما يريد، لقد عملت ليلا نهارا دون توقف، عملت بمصانع عديدة لكثرة ما تعرضت لمضايقات بل وتحرشات جسدية ولفظية! فهي صيد سهل كما يخيل لهم! لكنها كانت قوية بإيمانها، فلم يتركها الله، غسلت أوانٍ، طوت ملابس، تعلمت الخياطة واحترفتها، فصارت تخيط ليلا كعمل خاص بها.. حتى أصبحت تملك مصنعا صغيرا يحمل اسمها واسم طفلها! «ابتسام سليم» كأنه أب وزوج وصديق وأخ وقد كان، سليم الذي كان يناديها بحبيبتي، يشاركها دموعها حين تتذكر الماضي، يقضي وقته معها، تطلب منه أن يلعب كرفاقه لكنه يقول بحدة: لن أتركك وحدك! وتلك الجملة كفيلة بأن تزيل كل أوجاعها فتبتسم

وهـي تحتضنـه بقـوة.

هـا هـو اليـوم رجلهـا الصغـير! يقـترب منهـا بضحكتـه المرحـة يتأمـل ملامحهـا، تلـك التجاعيـد التـي مـلأت وجههـا تحـكي قصـة كفاحهـا، بدنهـا الهزيـل يخـبره كـم عانـت لأجلـه فهمـس لهـا: فخـور بـك أمـي!

فدمعـت عيناهـا تأثـرا وهـي تفهـم مـا يقولـه! ينبغـي أن تقـول هـي تلـك الجملـة لكنـه يفهـم! يـدرك حاجتهـا، يقـدر حجـم معاناتهـا لأجلـه لهـذا عانقتـه بقـوة، فبادلهـا العنـاق بعـد أن قبـل جبينهـا ويديهـا فهمسـت وهـي تـرى الدمـع بعينيـه: رجـلي لا يبـكي!

فـزاد مـن ضمهـا وهـو يربـت عـلى كتفهـا يطمئنهـا ثـم بحركـة مجنونـة منـه حملهـا ودار بهـا!

وأنزلهـا بعـد موجـة عنيفـة مـن الضحـك هاجمتهـا لفعلتـه، فابتسـم يراقبهـا برضـا.

أسماء صلاح أبو خلف

8- السيد طبق

هـي أم مثـل سـائر الأمهـات، وضعـت طفلهـا الثـاني مـن فـترة قريـب، ولديهـا طفلهـا الأول مالـك في الرابعـة مـن عمـره، مضـت أربعـة أعـوام كاملـة يتمتـع بـكل الحـب والحنـان والرعايـة، والآن جـاء ضيـف جديـد يشـاركه.

ومثلـه مثـل أي طفـل، يبـدأ باستكشـاف ذلـك الكائـن الصغـير، لكـن عـلى طريقتـه فـلا مانـع مـن أن يضـع إصبعـه بداخـل عـين الوليـد أو يجذبه مـن أحـد أطرافـه، وربمـا حـاول دفعـه ليستكشـف كيـف سـيعود لوضعـه الأول، بـل ربمـا يضربـه ليتأكـد إن كان سـيبكي...

و بالطبـع تكـون ردة فعـل الأم مصحوبـة بكـم مـن الغبـاء الهائـل؛ فتُعنّـف الطفـل بـل لربمـا تعاقبـه هـي والأب، و يتهمانـه بالغـيرة مـن أخيـه الوليـد...

ألا تعلـمان أنكـما بذلـك ترسـخان مفهـوم الغـيرة بداخـل طفلكـما، فكأنمـا تضعـان خطوطـاً فسـفورية حـول فكـرة الغـيرة بداخـل رأس الطفـل، بـل لربمـا يكـره أخـاه لأنـه حـلّ مكانـه، وشـاركه الحـب والاهتـمام، بـل مـن الممكـن أن يؤذيـه لمجـرد أن يلفـت انتبـاه أمـه، أو يرغـب في إثـارة غضبهـا وغيظهـا.

كلنـا يعلـم أن الغـيرة عندمـا تتولـد وتزيـد قـد تتحـول لعدوانيـة، وطاقـة كُـره وحقـد لا يُحمـد عقباها.

وهنـاك أطفـال مـن يصحبهـم انتكاسـة في دخـول الحـمام، فيعـودون للتبـول الـلاإرادي أو تتأثـر شـهيتهم اتجـاه الأكل، وهـذا مـا حـدث مـع مالـك بالضبـط.

فقـد مالـك شـهيته للطعـام، فلـم يعـد يتنـاول سـوى بضـع لقيـمات

مهـما كان نـوع الطعـام، بالطبـع تحـول اهتـمام الأم للبحـث عـن طـرق لفتـح شـهية طفلهـا، سـواء بتنـاول أنـواع مـن أدويـة فاتحـة للشـهية، أو البحـث عـن أنـواع مختلفـة لطبـخ الطعـام بطـرق أكـثر جذبـاً للطفـل وفتحًـا لشـهيته.

ذات يـوم بينـما كانـت الأم تتسـوق قبـل مجـيء مالـك مـن الحضانـة، لمحـت طبقـاً جميـلاً وهيئتـه بطريقـة ملفتـة للغايـة، حيـث كان الطبـق عـلى هيئـة وجـه مهـرج ضاحـك وفكاهـي، ومقسّـم مـكان العينـين والفـم بطريقـة جذابـة لوضـع الطعـام، والمختلـف في هـذا الطبـق أن عينـاه تتحـركان بصـورة مضحكـة وأيضـاً الفـم.

اشترته الأم على أن يكون مفاجأة لطفلها عندما يعود من الحضانة...

عـاد مالـك مـن الحضانـة وقـام بتبديـل ملابسـه واغتسـل، لتطلبـت منـه أمـه أن يجلـس عـلى منضدتـه الصغـيرة لتحـضر لـه الطعـام، فجلـس متململـاً ومزمجـراً...

جـاءت الأم وهـي تحمـل في يدهـا الطبـق الجديـد، وتنـادي عليـه بصـوتٍ حنـون: مالـك، أنظـر مـاذا أحـضرت لـك... إنـه طبـقٌ جديـد بشـكلٍ جديـد ورسـمة جديـدة، سـتراها عقـب انتهائـك مـن تنـاول وجبتـك.

ثـم وضعـت الطبـق أمامـه فقـوّس فمـه بعـدم اكـتراث قائـلاً بلهجـة طفوليـة بعـض الـشيء: إن هيئتـه عاديـة، هكـذا أنـتِ يـا أمـي تشـتري لي مـن حـينٍ لآخـر طبقـا جديـدا.

وكلـما وجـدت شـكلاً جميـلاً سـأحضره لـك لتكـون سـعيدا، ولتكمـل طعامـك أيضـا..

قالـت جملتهـا الأخـيرة مصحوبـة بتنهيـدة، ثـم عـاودت لهجتهـا الأولى المتحمسـة: عليـك تنـاول طعامـك كلـه، حتـى تكـبر وتصبـح قويـاً.

- أريد أن أكون ضابطًا.

هكذا أردف الطفل.

_ لـكي تكـون ضابطـا عليـك بتنـاول طعامـك بالكامـل كل يـوم ، ولا تقـل يومـاً لا رغبـة لي فيـه أو لا أحـب كـذا...لا آكل كـذا، فهكـذا هـم الضبـاط رجـال أقويـاء ،ومـن أيـن تـأتي القـوة يـا تُـرى إلا مـن تنـاول الطعـام الجيـد بكميـات مناسـبة ؟ كيـف سـتنمو وتكـبر وتصبـح قويًـا؟

هكـذا أجابـت الأم بأسـلوبٍ ناصـح، ثـم بـدأت تتسـمع قليـلاً، إنـه صـوت الوليـد يبـكي، فقالـت:

-سـأذهب لإرضـاع أخيـك، وتغيـير ملابسـه التـي أعددتهـا لـه يـا بطـل عقـب مجيئـك مـن الحضانـة، أريـد أن أعـود لأجـدك قـد انتهيـت مـن تنـاول الطبـق بالكامـل.

قالـت جملتهـا الأخـيرة بأسـلوب قريـب مـن التوسـل، فأومـأ مالـك برأسـه في ضيـق، ثـم انصرفـت الأم وهـي تدعـو اللـه مـن داخلهـا أن يتنـاول مالـك طعامـه بالكامـل، وحتـى لـو تنـاول نصفـه سـيكون إنجـازاً.

جلـس مالـك ناظـراً لطبقـه ولأصنـاف الطعـام بداخـل خاناتـه الثلاثـة لفـترة مـن الوقـت، كان في أحدهـا مكرونـة مـع صـوص الجبنـة الشـهي، مفتـت بداخلهـا قطـع صغـيرة مـن صـدور الدجـاج، وفي الثانيـة بضـع شرائح مـن الجـزر والكوسـا المشـوية وفي الثالثـة سـلطة طحينـة.

أمسـك مالـك ملعقتـه يعبـث في الطبـق، يريـد استكشـاف الرسـمة الموجـودة بـه، لكـن بينـما كان يعبـث بالملعقـة مـع احتكاكاتهـا بالطبـق سـمع صـوت ضحكـة خافتـة، فتوقـف فجـأة! وتـرك ملعقتـه وأنصـت قليـلاً...

لا يوجـد شيء، فأمسـك ملعقتـه مجـدداً وأخـذ يعبـث بالطعـام، فسـمع صـوت ضحكـة مـن جديـد، تـرك ملعقتـه ونهـض واقفـاً متجهـاً للغرفـة عنـد أمـه وأخيـه.

وجـد أخـاه يبـكي وأمـه لاتـزال مشـغولة بتغيـير حفاضـه وملابسـه، إذن ليـس الصـوت مـن هـذه الحجـرة، وعـاد مـن جديـد وجلـس عـلى كرسـيه

أمـام طبقـه.

فكـر أن يتـذوق مـن ذلـك الطعـام فغـرس الملعقـة ووضـع فيهـا القليـل، ربمـا معكرونـات معـدودة وتناولهـا، هـي حقـاً شـهية!

كان يمضـغ الطعـام بتباطـؤ وهـو يعبـث بملعقتـه، لازال يـود استكشـاف تلـك الرسـمة! لكـن تلـك المـرة زاد في احتكاكـه بالطبـق، فخـرج صـوت:

آي آي آي !!

فـترك الملعقـة بسرعـة ونهـض واقفـاً في خـوف، وبعـد قليـل اقـترب ببـطء وهـو يقـول بأنفـاسٍ تلهـث ومضطربـة: مـن هنـاك؟ أأأ أمـي! أمـي تعـاااالي!

_ لا تخف يا صغيري...أردف بصوتٍ فكاهي.

_ من أنت ؟! ...بصوتٍ مهتز من شدة الخوف...

_ لا تخف، إنه أنا، السيد طبق.

_ماذاااا ؟!

طبق يتكلم!

كييف ؟!!

_ لا يمكننـي الحديـث الآن، فقـط تنـاول كل هـذا الكـم مـن الطعـام حتـى أسـتطيع فتـح عينـاي والتحـدث معـك بحريـة، فهـو ثقيـل للغايـة!

_ كله؟!

ألا يمكنني أكل بعضٍ منه ؟!

_ هـذا الطعـام يرهقنـي و يضايقـن ، خلصنـي منـه رجـاءً لنتحـدث بحريـة ، قلـت لـك هـو ثقيـل جـداً.

ثم أحدث بصوته كأنه يسعل...

لم يجـد مالـك بـداً إلا أن يـأكل طعامـه بجـد وينهيـه بالكامـل، حتـى يـرى هـذا المسـمى بالسـيد طبـق...

ومـا هـي إلا هنيهـات حتـى أنهـى مالـك طعامـه، ليجـد أمامـه عينـين

تتحـركان بشـكل كوميـدي، وفـما يبتسـم بهيئـة فكاهيـة، فضحـك مالـك قائـلاً:

-هيئتك تضحكني كثيراً!

فخرج صوت ضحك من السيد طبق أيضاً ثم تابع:

-هــذا لأنــك أنهيــت كل طعامــك اليــوم ولم تــترك أي شيء بالطبــق، فـصرت تـراني بوضـوح وتسـمع صـوتي بوضـوح، تـراني كنـت كيـف سـأتحدث بـين هـذه الأكـوام مـن الطعـام؟ وأخـيراً اسـتطعت التنفـس بهـدوء وراحـة!!

_ أنت السيد طبق، وأنا مالك...

_ أعلم! سمعت أمك وهي تناديك باسمك.

_ هل يمكن أن تكون صديقي ؟

_ بالطبع، بشرط أن تأكل طعامك كاملاً كل وجبة.

فأومأ برأسه أن نعم وهو على مضد، لكن السيد طبق ألح قائلاً:

-قل اتفقنا، هكذا يتعاهد الرجال.

فتنهد مالك ثم قال:

-اتفقنا

ثم زفر بعدم رضى.

_ لكـن اعلـم يـا صغـيري أن هـذا وعـد، ومـن ينقـض الوعـد يصبـح فيـه خصلـة مـن خصـال النفـاق ، و المنافـق مـن يظهـر عكـس مـا بداخلـه.

_ أعلـم ذلـك ، لقـد قالتـه لنـا المعلمـة ذات يـوم ،أن المنافـق إذا حـدّث كـذب، وإذا وعـد أخلـف، وإذا اؤتمـن خـان، أي أنـه شـخص سـيئ.

_ أجل صغيري أحسنت.

لكن هناك شرط آخر.

_ وما هو يا ترى ؟!

_ أن تتوقـف عـن ضرب أخيـك الرضيـع، هـو لازال لا يفقـه أي شيء في هـذه الحيـاة.

_ لكن أبواي يحبانه أكثر مني، و كلما بكى اهتماني أني قد ضربته رغم أني كنت فقط ألعب معه، فيعنّفاني بشدة بل و يعاقباني و يحرماني من مشاهدة أفلام الكارتون، و اللعب على (البلاي ستيشن) ، (و حاسبي الصغير) ، فصرت أضربه بعد ذلك ولم لا ؟ ففي جميع الأحوال سيعنفانني وسأُعاقب.

_ لكن هذا خطأ كبير! أولاً والداك لا يحبان أخاك أكثر منك، هو طفل رضيع لا يستطيع فعل أي شيء وحده؛ هما فقط يقومان برعايته حتى يكبر مثلك ويستطيع فعل كل شيء بمفرده مثلك، سيكبر ويستطيع المشي فلن يحملاه بعد ذلك، ستنمو أسنانه وسيستطيع الأكل بمفرده، سيكبر ويرتدي ملابسه، ويدخل الحمام بمفرده، وكل شيء سيفعله بمفرده مثلك يا بطل، وأنت ستكون الأخ الأكبر الذي يساعده ويعلمه.

_ أنا!

قالها بسعادة.

_ أجل ، سيكون أصغر منك ويحتاجك أن تشرح له بعض الأمور، لكن لو استمريت في ضربه سيكبر دون أن يحترمك ولن يسمع كلامك كأخٍ أكبر، بل ربما سيضربك أيضاً.

_ ماذا أفعل إذن ؟! أبواي لا يريدانني أن أقترب منه أبداً.

_ لأنك بادرت بضربه فخشيا عليه أن تتسبب في إيذائه ، لكن لو تعاملت معه بلين سيجعلانك تقترب منه و تلعب معه أيضاً.

_ لقد أعددت ملابسه قبل أن أتناول غدائي.

_ جميل!

إذن عليك إعداد ملابسه كل يوم، وأيضاً إعداد الحفاض الخاص به، وإحضار الغسول والبودرة وباقي المستحضرات الخاصة به، لكن دون أن تعبث بها.

_ حسناً ، سأفعل.

_ جيد جداً ، هكذا سنصير أصدقاء دائماً و سأجيئك كل يوم ، لكن إياك أن تكسرني أو تلحق بي أي ضرر، فلن أستطيع التحدث مرة أخرى ، هيا احملني و ضعني في حوض المطبخ، ثم اغسل يديك جيداً بالماء والصابون، ولا تنسى غسل أسنانك عقب كل وجبة، يكفي بالفرشاة فقط و اجعل غسلتك المسائية قبل النوم بالفرشاة و المعجون.

_ حسناً، سأفعل.

_ هل تعلم أنك كنت ذات يوم وليداً مثله ؟ وكان أبواك يدللانك ويحملانك ويلعبان معك مثله تماماً، بل أفضل منه لأنك كنت وحدك من يلعبان معه.

_ حقاً!

_ ألم ترى صوراً لك وأنت صغير وهما يلعبان معك ويدللانك ؟!

_ بلى...

قالها بإيماءة من رأسه.

_ إذن تأكد أنها مرحلة وبعد ذلك ستتساويان في المعاملة.

_ حسنا، لقد فهمت.

_ أذكرك أننا تعاهدنا، فإن نقضت العهد لن أتحدث معك ثانيةً.

_ حاضر، سأفي بالوعد وأحافظ عليه ، وآكل طعامي كله يومياً ، ولن أضرب أخي الصغير بعد اليوم، هل هناك شيء آخر؟!

_ لا لا، يكفي هذا اليوم حتى تستطيع تنفيذه، والآن سأودعك لتذهب وتقوم بواجباتك مع أمك، أعتقد أنها قد انتهت من واجباتها مع أخيك الصغير، إلى اللقاء أستودعك الله!

_ إلى اللقاء.

قالها مالك بسعادة وهو يلوّح بيده، ثم قال بصوتٍ مسموع: سأحافظ على العهد، سآكل طعامي كل يوم كله، لن أضرب أخي

الصغـير مجـددا.

جـاءت أمـه مـن خلفـه وقـد سـمعته وفرحـت بمـا قالـه، وازدادت سـعادتها عندمـا وجدتـه يمسـك بالطبـق ويتجـه بـه إلى المطبـخ، وبعـد أن عـاد مالـك عقـب غسـل يديـه وأسـنانه، صفقـت لـه أمـه وقالـت:

-أحسنت طفلي الغالي، أنت اليوم ولدٌ جيد.

ثـم فتحـت ذراعيهـا فـأسرع إلى حضنهـا، ضمتـه إليهـا وقبلتـه، ثـم وضعـت يدهـا في جيبهـا وأخرجـت قطعـة صغـيرة مـن الحلـوى قائلـة وهـي تمـد يدهـا لـه بهـا:

- هـذه مكافـأة لـك، أنـت اليـوم ولـد جيـد وتسـتحق الإثابـة، هـل تـود أن تعـرف مـن أحضرهـا لـك ؟!

_ من ؟!

_ أخـوك الصغـير، قـد همـس لي بلغتـه الخاصـة التـي أفهمهـا وحـدي أنـك صرت مؤدبـاً، ولـن تضربـه بعـد اليـوم، وأنـه عـليّ مكافأتـك، ففعلـت.

فاتسعت ابتسامته قائلاً:

- يا إلهي! رائع حقاً!

هل يمكنني تقبيله؟

_ أجل ، لكن فقط تقبله من يده ؛ حتى لا يمرض.

_ حسناً يا أمي، هيا بنا نقبل أخي ونلعب معه.

_ هيا بنا...

تمت

نهال عبد الواحد

الفهرس

١- شكرا أمي..... ٥
٢- أوراق ملونة..... ١٣
٣- هذيان امرأة مجنونة..... ٢١
٤- نقطة تحول..... ٢٩
٥-قربان..... ٣٧
٦-ذات يوم..... ٤٧
٧- انتحار علني..... ٥٧
٨- السيد طبق..... ٦٥